

مجلة جامعة الزيتونة الدولية للنشر العلمي
Zaytoonah University International
Journal for Scientific Publishing
Issue N.31-Vol. 2/ ISSN:2958-8537

العدد الواحد والثلاثون (31)، المجلد الثاني
تاريخ 28 – 2 – 2025
(ص9 ل ص52)

صداح الشعر العربي في الأمريكتين

Singing Arabic poetry in the Americas

أ. مصطفى كمال الزايد
Mustafa Kamal Alzaied
قسم اللغة العربية – كلية الدراسات العليا والبحث العلمي
جامعة الزيتونة الدولية
Alzayd7@gmail.com
https://orcid.org/0009-0009-7937-1683

د. إيمان الطريفي حبيب
Dr. Iman Al-Tarifi Habib
رئيسة قسم اللغة العربية بكلية الدراسات العليا بجامعة الزيتونة
أستاذة الأدب بكلية التربية بجامعة البحر الأحمر

الملخص:

الهجرة من الديار ومفارقة الأهل والأحباب، والاغتراب في بلد لا يعرفه الإنسان، بين شعوب لا يجمعه بهم لسان ولا تاريخ، معاناة حقيقية عاشها شباب عرب مثقفون بكل تفاصيلها في الأمريكتين، في وقت عانت بلادهم الاحتلال الأوربي الذي أخلف وعوده التي غرهم بها، وأظهر لهم الوجه القبيح لحضارته الدموية، فاقتسم البلاد وارتكب فيها المجازر، وأعطى فلسطين لليهود، فسالت أقلامهم بدمع القلوب معبرةً عن ألم غربتهم وشوقهم إلى بلادهم وأهلهم، وحرقتهم على ما يجري في بلادهم، فتركوا وراءهم إرثاً أدبياً غزيراً يصوّر حياتهم ومشاعرهم، متمثلاً بجماعة «الرابطة القلمية» في الجنوب الأمريكي، و«العصبة الأندلسية» في الشمال.

الكلمات المفتاحية: الشعر العربي، الشعر المهجري، في الأمريكتين، الرابطة القلمية، العصبة الأندلسية.

Abstract

Migration from one's homeland, separation from family and loved ones, and alienation in a country one does not know, with people one shares no language or history with, is a real suffering experienced by educated Arab youth in all its details in the Americas at a time when their countries suffered from European occupation that broke its promises, which deceived them before, then showed them the ugly face of its bloody civilization, dividing the country and committing massacres in it, and giving Palestine to the Jews. Their pens flowed with tears of heart, expressing the pain of their alienation and their longing for their country, families, and their

anguish over what was happening in their country. They left behind them a rich literary legacy that depicts their lives and feelings, represented by the "al-Rabita al-Qalamia" group in the American South, and the "al-Osaba al-Andalusia" in the North.

Keywords: **Arabic poetry**, **Migrant poetry**, **In the Americas**, **alraabitat alqalamia**, **alosabat al'andalusia**

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، الذي جعل اللسان العربي بياناً، وتعلُّمَه أدباً وقرباناً، والصلاة والسلام على أفصح ناطق به وعالم بدقائقه، سيدنا محمد القائل: ﴿إن من البيان لسحراً، وإن من الشعر لحكمة أو حكماً﴾، وعلى آله وصحبه، ومن حملوا إلينا رسالة الله في قرآنه، وشقوا الأصداف عن درر بيانه، وبعد...

فإن الشعر ديوان العرب، فهو حامل ثقافتهم، وسجلّ تاريخهم وأيامهم، ومخزن حكمتهم، تناقلوه روايةً، وحصنوه كتابةً، وعلموه أبناءهم، واستشهدوا به في أمثالهم وفي مناجزاتهم ومخاطباتهم، وصدق عليهم قول رسول الله ﷺ: ﴿لا تدع العرب الشعر حتى تدع الإبل الحنين﴾. وارتبط الشعر العربي بأحوال أمته، يقوى بقوتها ويضعف في ضعفها، فكانت مراحل الصعود والهبوط متجلية في شعر كل مرحلة من مراحل تاريخها.

وقد قسم الباحثون الشعر بحسب عصور الدول الحاكمة، حتى وصلوا إلى ما يسمى الشعر المعاصر، ويشمل مرحلة ما بعد سقوط الخلافة الإسلامية إلى يومنا هذا. وفي هذه المرحلة فتح الشعر قوقعة الجمود في إطار تعبيرات أصبحت ممجوجة لكثرة تداولها، وانفتح على آفاق البيان، ليستعيد زهوه في العصر العباسي، فبرز جيل تثقف ببيان القرآن، على اختلاف أديان افراده، وحفظ عيون الشعر، على اختلاف تياراتهم، فنبغ شعراء أحسنوا في التعبير وأبدعوا في التصوير، وشكلوا جماعات ومدارس في شرق الأرض وغربها، يتلاقح فيها شعرهم ويقوّم نقد بعضهم بعضاً، ومن هذه الجماعات اخترنا جماعتين، ممن هاجروا من بلاد الشام إلى الأمريكتين، فحمل أفرادهما معهم لغتهم وتراثهم الأدبي، ليصدحوا هناك بلغة الضاد أعذب الألحان المثقلة بالشوق والحنين ومعاناة اغترابهم وهموم بلادهم، التي فصلتهم عنها قيعان شاسعة وجبال شامخة وبحار زاخرة، وهما «الرابطة القلمية» و«العصبة الأندلسية»، لتكونا مدار بحثنا، ونسأل الله أن نوفق إلى ما نريد ونقدم ما يفيد، خدمة للغة الجمال الأنقى والبيان الأرقى، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

أهداف البحث

1- التعريف بالشعر المهجري، ودواعي نشوئه.

2- الكشف عن أسباب هجرة هؤلاء الأدباء ومفارقة أوطانهم، ومعاناتهم في مهجرهم.

3- التعرف على أغراض الشعر المهجري عموماً.

4- تحديد أهم المدارس التي نشأت في المهجر، وتاريخ تأسيسها، والأدباء الذين نشأت على أيديهم، ونشاط تلك المدارس وإصداراتها.

5- توضيح أثر الاغتراب في ثقافة أداء تلك المدارس، وأثر احتكاكهم بالثقافات الأخرى في ذهنياتهم ونتاجهم.

6- تحديد أهم الأغراض الشعرية التي تناولها شعراء تلك المدارس، والاستشهاد لها من شعرهم.

7- استعراض تجليات مظاهر الانتماء الوطني والقومي والإنساني في توجهاتهم وفي شعرهم.

8- الإشارة إلى سمات التجديد في الشكل والمضمون في أشعارهم ومدى تطابقها مع أنماط الشعر العربي الموروثة، ومدى تفرد شخصياتهم في نتاج أفرادهم.

9- أثر تلك المدارس في الأدب العربي الحديث.

أهمية البحث

الاطلاع على المضامين العامة للشعر المهجري، وتحديد أهم الأغراض التي طرقها، وأشهر مدارسه؛ وهما الرابطة القلمية في الشمال الأمريكي، والعصبة الأندلسية في الجنوب الأمريكي، والتعرف على أسماء شعرائهما وخلفياتهم الثقافية، وذهنياتهم، واتجاهاتهم الفكرية، ومدى تأثر فكرهم وأدبهم بالثقافات الأخرى، ومعاناتهم في غربتهم، وأثر الاغتراب في نفسياتهم وأدبهم، وتجلي ذينك الأثرين في اتجاهاتهم الفكرية وفي نتاجهم، ومدى ارتباطهم بأوطانهم، وتمسكهم بلغتهم وتراثهم الأدبي والفكري، ونماذج من شعرهم.

منهجية البحث:

اتبعت المنهج الوصفي التحليلي في استعراض الدواعي السياسية والاقتصادية وراء هجرة الأدباء العرب من بلادهم، والتغيرات الفكرية التي طرأت عليهم، والفرق بين مدرستي المهجر؛ الرابطة القلمية والعصبة الأندلسية في التعامل مع التراث الأدبي العربي، والنزعات التي ظهرت في شعر كل منهما، وأثر نتاجهما في الأدب العربي.

إشكالية البحث:

بيان علاقة الشعراء المهجريين بوطنهم بعد الهجرة، ودور مدارس المهجر في النهضة الأدبية المعاصرة، والاتجاهات الفكرية في شعر المهجريين.

الدراسة:

في الفترة ما بين منتصف القرن التاسع عشر إلى منتصف القرن العشرين تقريباً هاجرَ كثيرٌ من الشعراء العرب إلى خارج البلاد العربية، وقضوا حياتهم، في البلادِ التي استقرُّوا فيها، بالتأليف وكتابة الشعر وغيره، وقد أنشأ كثيرٌ منهم نوادي وروابط أدبيَّة جمعت كثيراً منهم في مهجرهم، مع أنَّ بعض أدباء المهجر لم يكونوا من أعضاء تلك المجموعات، و«يجمع معظم الدارسين على أن وراء الهجرة عوامل سياسية واقتصادية واجتماعية وأدبية ونفسية،

وهذه الأسباب تضافرت جميعها، أو معظمها، على هجرة المئات من اللبنانيين والسوريين، ممن تهيأت لهم ظروف الهجرة، إلى القارات البعيدة. وعلى رغم أن تلك الأسباب كانت كثيرة ومختلفة فإن العامل الاقتصادي كان أول العوامل التي دفعت بالمهجريين إلى أن يغادروا أوطانهم، ويَنْأَوا عن أهليهم، ويعانوا ألم الفراق، وحالات الغربة بما يضني نفوسهم، ويعمق إحساسهم بحب الوطن»[1]، فالهجرة من سورية ولبنان إلى أمريكا، كانت في الغالب فراراً من سوء الحال الاقتصادية في الأوطان، كما أن من الأسباب تدهور الحياة السياسية، في ظلّ الدولة العثمانية، كما أنّ استجابة اللّبنانيين للمبشّرين الأجانب الوافدين من أوروبا وأمريكا كانت دافعاً لهذه الهجرة[2].إذ ازدادت جهود الإرساليات التبشيرية في التشجيع على الهجرة، وخصوصاً بين المسيحيين، الذين نلحظ أن معظم شعراء وأدباء المهجر منهم، وذلك عبر اتصال الإرساليات بالجمعيات السرية، بدفع من فرنسا تمهيداً لاحتلال سورية ولبنان، بحجة حماية الطائفة المسيحية، «ومن ذلك الجمعية اللبنانية التي كان كل رعاياها من المسيحيين، وطالب أعضاؤها القنصل الفرنسي بفرض الحماية على مسيحيي لبنان ووضعه تحت الإدارة الفرنسية مباشرة»،[3] وقد جاء في وثيقة حول مطالبة بعض النصارى بالحماية الفرنسية للبنان واحتلال سورية ما نصه: «ولو افترضنا أن من المستطاع الوصول إلى الإصلاحات بدون مساعدة أوربا فإن هذه النتيجة لا يمكنها إطفاء غلة نصارى سورية، ذلك أن هؤلاء متحدون مع فرنسا اتحاداً لا انفصام له، وأنهم لن ينسوا إعجابهم المفرط بها وبمدنيّتها العالية، ولا ما هم مدينون لها به من المساعدة في أوقات الشدة، فأقصى ما يتمناه نصارى سورية هو أن تحتل فرنسا الشام»[4] وقد بين الموقعون على الوثيقة، وهم ميشيل تويني، ويوسف هاني، وبترو طراد، والدكتور أيوب ثابت، ورزق الله أرقش، وخليل زينية أن من أسباب هذه المطالبة أن «هجرة المسلمين من مقدونية إلى سورية أدت إلى اختلال التوازن العددي بين مسلمي سورية ونصاراها إلى غير مصلحة الأخيرين، وإن المسلمين مستبدون عملياً وفقاً لمقتضى تعاليم دينهم... ولقد ثارت ثائرة نصارى سورية لهذا السبب، حتى إن كثيراً منهم نزحوا إلى أمريكا، فإذا استمرت الهجرة، ولو إلى أمد قصير، فإن نتيجة ذلك هي إبادة العنصر النصراني في سورية».[5] ويؤيد مضمون هذه الوثيقة اعترافُ الشاعر القروي رشيد سليم الخوري، الذي قال:

---

1 الأدب العربي الحديث، دراسة في شعره ونثره، سالم الحمداني وفائق مصطفى أحمد، ص211.

2 - عيسى الناعوري، أدب المهجر، ص ١٧.

3 صحوة الرجل المريض، موفق بني المرجة، ص310-311.

4 المصدر السابق، ص417.

5 صحوة الرجل المريض، نزار بني المرجة، ص416.

وَكَيفَ أَلومُ في وَطَني الزَّمانا   وَمِنّا ذُلُّهُ لا مِنْ سِوانا

أَلَسْنا مَنْ أَهَنّاهُ فَهانا   وَقُلْنَا كُنْ فَرَنْسِيّاً فَكانا؟

رَضِيْنا لِلتَّعَصُّبِ أَنْ نَهُونا   فَأَغْمَضْنا على الضَّيْمِ العُيُونا

نَقُولُ: المُسْلِمونَ المُسْلِمُونا   وَنَرْمِيْهِمْ وَنَحْنُ الخائِنُونا[6]

«ولم تكن ظروف المهاجرين سهلة، وخصوصاً أن معظمهم كانوا فقراء، وقد عانوا فور وصولهم إلى القارة الجديدة الحرمان والفقر، فتمزقت نفوس كثير منهم، وشعروا بجرح كرامتهم، وتمنى بعضهم لو لم يقدم على الهجرة. وصور الشاعر المهجري مسعود سماحة تلك المرحلة المضنية من حياة المهاجرين بقوله»:

كَمْ طَويتُ القِفارَ مَشياً وحِمْلي   فوقَ ظَهري يكادُ يقصِمُ ظَهري

كَمْ قَرعتُ الأبوابَ غيرَ مُبالٍ   بِكَلالٍ أو قَرٍّ فَصلٍ وَحَرِّ

كَمْ وَلَجتُ الغاباتِ واللَّيلُ داجٍ   ووَمِيْضُ البُروقِ شَمسي وبَدري

كَمْ تَوسَّدتُ صخرةً وذِراعي   تَحتَ رَأسي وخِنْجَري فوقَ صَدري[7]

أدب المهجر: النشأة وأسباب الازدهار

يطلق مصطلح «أدب المهجر» على الأدب العربي الحديث الذي نشأ عند عدد من الأدباء العرب، الذين هاجروا إلى الأمريكيتين: أمريكا الشّماليّة والجنوبيّة، في أواخر القرن التّاسع عشر ومطلع القرن العشرين، وكان أكثرهم من سورية ولبنان. وبعد هجرتهم إليها والاستقرار فيها تركوا آثاراً أدبيةً وأسسوا مدارس شعريّة، وتركوا بصماتٍ واضحةً في مسيرة الشّعر العربي الحديث.

---

6 ديوان الأعاصير، رشيد سليم الخوري، ص62. وينظر سلسلة أعلام الأدباء والشعراء، حيدر توفيق بيضون، الشاعر القروي، ج56، ص97 -98.
7 الأدب العربي الحديث، دراسة في شعره ونثره، سالم الحمداني وفائق مصطفى أحمد، ص211-212.

وإضــافة إلى ما ســبق ذكره من أســباب للهجرة، هناك أســبابٌ أخرى؛ منها إنّ بعض أولئك المهاجرين كانوا قد نشؤوا في عصر شهد بوادر التحرّر الفكري والانفتاح الاجتماعي والسياسي، في حين لم يتسنَّ لهم تحقيق ما كان يجيش في نفوسهم الطامحة من آمال مشرقة، لذلك آثروا الهجرة.

ولنستمع معاً إلى الشاعر السوري نسيب عريضة يلخّص سبب هجرته وغربته، في قصيدته حكاية مهاجر سوري:

غــريــبــاً مــن بــلاد الشــرق جــئــتُ   بعيداً عن حـــمى الأحـــباب عِشـــتُ

اتخـذت أمـريـكـا وطـنـاً عـزيـزاً   فكـانـت ليَ أحســـنَ مـا اتخـذتُ

أتـــاهــــا للـــغـــنى غـــيري وإنّـــي   كمــا جــاء مع الأقـــدامِ جــئـــتُ[8]

لهذه الأسباب هاجروا، فكيف ازدهر الشعر المهجري؟

لأنّهم شــعراء شــباب، جاؤوا من بلدانهم العربيّة بروح المغامرة، وكانوا على معرفة واســعة بالأدب العربي وبالشــعر العربي، وخصــوصــاً الشــعر القديم، إضــافة إلى ثقافتهم العربية المتشــبعة بالفكر الإســلامي، والقائمة على القرآن الكريم، لذلك كثرت في أشـعارهم الاقتباسـات الدينية والمصـطلحات الإسـلاميّة، بحكم أنّهم ينتمون إلى العروبة، يقول أبو ماضي، مقتبساً من القرآن الكريم:

كلُّ من يجمعِ الهمومَ عليه   أخذتهُ الهمومُ أخذاً وبيلا[9]

ومما أسهم في نشوء أدب المهجر وازدهاره؛ كونُ هؤلاء أجانب من بلد غريب، ما حفّز أخيلتهم، وحرّك مشاعرهم وعواطفهم، وبخاصــة مشــاعر الشــوق والحنين إلى الوطن، وكلّ ذلك الإبداع كان نتيجة لذلك الاغتراب، وكما هو معروف أنّ الألم والحزن الكبير قد يُنتج أدباً عظيماً، ومن رحِم الآلام يبزغ الإبداع.

ويمكن أيضاً أن نعُدَّ من الأسباب أنّ عدداً من الشعراء المهاجرين الموهوبين، قد وجدوا في الأمريكيتين حرية التعبير عن أنفسهم، من دون أيّ عوائق أو مخاوف سياسية أو اجتماعية.

---

8 – نسيب عريضة، ديوان الأرواح الحائرة، ص ٢٦٧.

9 – إيليا أبو ماضي، الأعمال الكاملة، ص٢٥٧.



خصائص أدب المهجر

١– النزعة التّأمليّة:

اتجه أدباء المهجر إلى دخيلة أنفسهم، يتأملون فيها، فراراً من صخب الحياة التي تحاصرهم. كما توجّهوا إلى الطبيعة، وتأمّلوا في مظاهرها وشخصوها بوصفها كائناً حياً، ليعبّروا عما يجيش في نفوسهم من أحاسيس.

والأديب المهجريّ كان في قلق واضطراب في الغربة، وهذا أثار أسئلة في وجود الأديب حول قضايا مختلفة، ولا سيّما في ما يخص الكون، وما يجري في الحياة الدّنيا، وما سيجري في الحياة الأخرى، وثنائيات الخير والشّر، والنور والظلام، والإيمان والكفر، والسرُور والحُزن، والسيادة والعبوديّة، وسيطرة العقل على القلب أو العكس، و... وكلّ ما يكون في العالم من المعمَّيات. فأخذ المهجريّ يتفكّر ويتأمل فيها ويبحث عن سببها، لذلك نجد بعض أشعار المهجريين تتّسم بالطّابع الفلسفي والتأمّلي والرّمزي، الذي يُعدُّ لوناً جديداً من الطّوابع الأدبية عند الأدباء المحدثين، وهذه الطريقة الجديدة انبثقت عن الرابطة القلميّة، التي يمثّلها جبران ونعيمة وإيليّا أبو ماضي، وقد تزعمها جبران، وهو النبع الذي فاض منه النغم، إذ دعا إلى التحرر من اللغة التقليدية في الشعر، وقبس من الرومانسية الغربية وما يجري فيها من ألم وتأملات في الطبيعة والوجود، وقصيدته «المواكب» تعدُ الأصل الذي يصدر عنه الشعر في المهجر الأمريكي جميعه، وفيها يثور على المدينة وأوضاع الحياة الإنسانية وما يرتبط فيها من رقّ وحرية، وعلمٍ وجهلٍ، وحقٍّ وباطلٍ، وقوّةٍ وضعفٍ، وسعادةٍ وشقاء، داعياً الناس إلى الفرار من جحيم تلك الحياة إلى الغاب والطبيعة، حيث الفطرة والبساطة، ويتطلّع إلى وحدة الوجود وما ينطوي فيها من ألفةٍ، ويرمز إليها بالغناء على الناي، جاعلاً هذا الغناء خاتمة لكل نشيدٍ من أناشيد قصيدته.[10]

ويبدو أنّ اتجاه شعر المهجر نحو التأمل قد أصبح ظاهرة عامة، ربّما فاقت كل خواطرهم الشعرية، وكانت الظروف القاسية التي واجهت شعراء المهجر سبباً في بروز هذا الاتجاه، فقد ترك هؤلاء أوطانهم وغادروا أهلَهم وأحباءَهُم، وواجهوا بيئة جديدة وظروفاً اقتصادية وأحوالاً نفسية صعبة انعكست صورتها في شعرهم حنيناً إلى أهلهم، وحباً لأوطانهم، فراحوا يعبّرون عنها بالمعاني المتناقضة؛ من يقين وشكٍ، ورضى وسخطٍ. وعلى رغم أنّ هذه المعاني قد حققت في شعرهم تجديداً ملحوظاً، إذ جسّدت ما كان ينتابهم من قلقٍ واضطراب وحيرة، خصوصاً في المراحل الأولى من حياتهم، وعمّقت إحساسهم بالألم، وانتهت بكثير منهم الى زعزعة ثقتهم بالحياة والكون، كما نجد في طلاسم أبي ماضي:

جئتُ لا أعلم من أين؟ ولكنّي أَتيتْ ... ولقد أبصرتُ قدّامي طريقاً، فمشَيْتْ
وسأبقى سائراً، إنْ شئتُ هذا أم أَبيتْ ... كيفَ جئتُ؟ كيف أبصرتُ طريقي؟

10 – شوقي ضيف، فصول في الشعر ونقده، ص٢٩٢.

لستُ أدري[11]

وقد وضـــاق بعض شــعراء المهجر ذرعاً بواقعهم، ولم يعودوا قادرين على العيش فيه، ما جعلهم يحلمون بواقع من صنع الخيال، يحقق لهم كل ما افتقدوه في واقعهم، ونعود إلى جبران لنجدَ ذلك في قصيدته «البلاد المحجوبة» التي يقول فيها:

يـا بِـلاداً حُـجـبـت مـنـذ الأزل   كيــف نـرجــوك ومن أيَّ ســبـيــل

أيُ قـــفــرٍ دونـــهـــا ايُّ جـــبـــل   ســـورُهُ العالي ومن مـــنّـــا الـــدلـــيـــل

أســـرابٌ أنــت؟ أم أنــتِ ألأمــل؟   في نــفــوسٍ تــتــمنى الــمســتحيــل

يـا بـلادَ الـفـكـرِ يـا مـهـدَ الأُلى   عَبــــدوا الحـــقّ وصَـلَّوا للجمـــــال

مـا طـلـبـنـاك بـركـبٍ أو عـلـى   مَـــتْنِ سُـــفنٍ أو بِخَـــيلٍ أو رِحَـــال

لســــــتِ في شـــــرق ولا غرب ولا   في جنوب الأرض أو نحو الشـمــــال

لســـتِ في الجـــو ولا تحت البحـــار   لستِ في الســهل ولا الوعر الحــــرج

أنـــتِ في الأرواح أنـــوارٌ ونـــار   أنتِ في صدري فـــؤادٌ يختـــتـــلج[12]

ويبدو من هذه القصـــيدة أنّ جبران يتحدث عن مدينة خيالية يمكن لها أن تكون بديلاً عن مدينته في الواقع، التي لم يعد متصالحاً معها، فالمدينة تُمثّل لجبران شيئاً من التمرّد على الواقع، والهرب منه إلى عالم من صنع

11 – إيليا أبو ماضي، الأعمال الكاملة، ص٦٤٩.

12 – جبران خليل جبران، البدائع والطرائف: قصيدة البلاد المحجوبة، ص١٤٨.

الخيال، يجد فيه كل ما يتمناه في واقعه وما يحلم به من آمالٍ وأماني، وهذه البلاد لا يجد الشاعر وسيلة للوصول إليها، لكنّه يميط اللثام عن رموز لنتعرف معه على هذه المدينة، إنها مدينة الفكر التي يحلم بها.

هذه الروح الشعرية جديدة كل الجدة، وهي الرومانسية الحقّة، لأنها تعبر عن دخيلة الشاعر وأعماقه وخفايا نفسه، التي يشوبها الحزن والكآبة من واقعه الجائر وعزلته عن مجتمعه، وتفكيره في الهرب من هذا الواقع إلى عالم الأحلام الذي يتمناه في مدينته الخياليّة.

٢- النزعة الإنسانيّة:

ظهرت في شعر المهجر نزعة إنسانية واضحة تدعو إلى الأخوة والمحبة ورفض الظلم والكراهية والتفرقة، وربما تأصلت هذه الدعوة لدى شعراء المهجر منذ أن رحلوا عن أوطانهم وحلّوا في أراضيهم الجديدة، التي جابهوا فيها الصعاب، لذلك لهجوا بحبّ الناس، وسبب آخر في تكريس هذا الاتجاه عندهم؛ هو ملامح شخصياتهم الشرقية المؤمنة بالديانتين الإسلامية والمسيحية، الطافحتين بالقيم الإنسانية النبيلة، ولعلّ هذا الاتجاه قد شاع لدى المهجريين، بعد أن رأوا الحياة المادية الغربيّة وما فيها من بغضٍ وتناحُر، فكان هذا الاتجاه ردَّ فعلٍ عليه، ومن يقرأ قصائد أبي ماضي يجد فيها كثيراً من النظرات الإنسانيّة، وبخاصة حين يخاطبُ الإنسان المتعالي المتكبّر، مُذكّراً إياه بأصله ومنشئه، ويجعل عنوان قصيدته «الطين»:

نَسِيَ الطينُ ساعَةً أَنَّهُ طيـ ـنٌ حَقيرٌ فَصالَ تيهاً وَعَرَبَد
وَكَسَى الخَزُّ جِسمَهُ فَتَباهى وَحَوى المالَ كيسُهُ فَتَمَرَّد
يا أَخي لا تَمِل بِوَجهِكَ عَنّي ما أَنا فَحمَةٌ وَلا أَنتَ فَرقَد[13]

«ويولّدُ في هذه القضية كثيراً من معاني الأخوة الإنسانية الرائعة، ثمّ يقول له:

أَنتَ مِثلي مِنَ الثَرى وَإِلَيهِ فَلِماذا يا صاحِبي التيه وَالصَد

ويطرح عليه الأسئلة الكثيرة ويستهدف من ورائها تجريده من الكبرياء وأن يقتدي بالطبيعة وما فيها من عطاء ويذكّره بضعفِه حيالَها ويقول له:

لا يَكُن لِلخِصامِ قَلبَكَ مَأوىً إِنَّ قَلبي لِلحَبِّ أَصبَحَ مَعبَد
أَنا أَولى بِالحُبِّ مِنك وَأَحرى مِن كِساءٍ يَبلى وَمالٍ يَنفَد[14]

والمعروف أنّ أبا ماضي شاعرٌ إنساني وصاحب نزعة إنسانيّة، ويُعدُّمن كبار الشعراء الإنسانيين في العالم، وله قصائد كثيرة هي مثالٌ «للمحبة المطلقة»، هذا المفهوم الذي ساد في الشعر الإنساني في الأدب العربي الحديث،

13 – إيليا أبو ماضي، الأعمال الكاملة، ص٥٧٩.

14 – عزيزة مريدن، حركات الشعر العربي في العصر الحديث، ص٢٢٦.

ويدعو فيها الشّاعر إلى قيم الخير والفضيلة والمحبة، وبخاصة قصيدته المشهورة: «فلسفة الحياة» التي يعالج فيها قضية وجودية كبرى، هي «قضية الحياة والموت»، ويدعو فيها الإنسان ليعيش الحياة بتفاؤل وينبذ التشاؤم، ويدعوه إلى الفضائل الإنسانية النبيلة، وقد تجلّت إنسانيتُه من خلال طرح مفهوم المحبة العام القائم على حب كلّ الموجودات، والدعوة إلى قيم الخير والفضيلة بمنظور إنساني عام مثالي، إذ يدعو إلى التفاؤل ونبذ التشاؤم، وعدم الخوف من الموت، لأنه لا بد منه، وأن يرى في الرياض زهوراً جميلة لا أشواكها فقط، يقول: من فلسفة الحياة:

أيُّهَذا الشاكي وَما بِكَ داءٌ   كَيفَ تَغدو إذا غَدَوت عَليلا

إنَّ شَرَّ الجُناةِ في الأَرضِ نَفسٌ   تَتَوَقّى قَبلَ الرَحيلِ الرَحيلا

وَتَرى الشَوكَ في الوُرودِ وَتَعمى   أَن تَرى فَوقَها النَدى إِكليلا

وَالَّذي نَفسُهُ بِغَيرِ جَمالٍ   لا يَرى في الوُجودِ شَيئاً جَميلا

كُن هَزاراً في عُشِّهِ يَتَغَنّى   وَمَع الكَبلِ لا يُبالي الكُبولا

لا غُراباً يُطارِدُ الدودَ في الأَر   ضِ وَبوماً في اللَيلِ يَبكي الطُّلولا

كن غديراً يسير في الأرض رق   راقاً فيسقي من جانبيهِ الحقُولا

لا وعاءً يقيّد الماء حتى   تستحيلَ المياهُ فيهِ وُحُولا[15]

والشاعر المهجري نعمة قازان شاعرٌ ذو نزعةٍ إنسانيّة، فهو ينحو في أدبه منحىً إنسانيّاً، وبخاصة في قصيدته التائية (معلقة الأرز)، إذ يشعرنا بأنّه شاعر يفهم رسالة الشعر الإنسانيّة ويحبُّ الخير للبشريّة، بل نجدُ حبّه للتضحيّة والتفاني من أجل الآخرين، في مثل قوله:

15 – عزيزة مريدن، حركات الشعر العربي في العصر الحديث، ص٢٥٧.



ألا فاشربوا الوحيَ من جرّتي ولا بأس أنْ تكسروا جرّتي
إذا كانَ فيها الحياةُ اشربوا ولا ترفعُوها على صِحّتِي[16]

وإن أردنا تمام الحديثِ والوقوفِ عند النزعة الإنسانيّة في شعر المهجر، فلا أصَحَ وأصدقَ من لسانِ أحدِهم، وهو جورج صيدح، الذي يقول عن زملائِه المهجريين: «جبران ونعيمة في كلّ إنتاجهما والريحاني، وأبو ماضي وعريضة، في بعض ما أنتجوا، أعطَوا للإنسانيّة من مواهبهم وأرواحِهم، وبشّروا بتعاليمَ سامية نفذت منها روحانيّة الشرق إلى البيئاتِ الأجنبيّة، وكان تأثيرها بليغاً في البيئة الأمريكيّة، حيث كانت النفوس مفتقرةً إلى فلسفةٍ روحيّة تولَد على أرضها وتركن إليها، إلى جانب الفلسفاتِ الماديّةِ الغامضة الواردة من أوروبا، والتي شبهها جبران بالمرايا تعكس رسوم الأشياء ولا تراها، وبالكهوف ترجِّع صدى الأصوات ولا تسمعها، فوصلت رسالة الشرق الروحانيّة في حين الحاجه إليها، وقد رسم جبران خطوط نزعته الإنسانيّة بهذا الكلام:

«الأرض كلّها وطني، والعائلةُ البشريّةُ عائلتي، لأنّي وجدت الإنسانَ ضعيفاً، ومن الصّغارةِ أن ينقسمَ على ذاتِهِ، والأرضُ ضيقةٌ، ومن الجهالةِ أن تتجزأ إلى ممالك وإمارات، أحِنّ إلى بلادي لجمالها، وأحبّ سكان بلادي لتعاستهم»[17]

وأخيراً يمكننا القول: إنّ شعراء المهجر قد اتخذوا من الأدب «رسالة إنسانيّة مثاليّة، تتعالى على سائر الخلافات والنزعات الإقليميّة والطائفيّة والقوميّة والدينيّة. فلم يخلُ أدبهم بشكل عام، وشعرهم بشكل خاص، من الأفكار الإنسانيّة العالية، لأنّ رسالتهم القوميّة لم تكن من الضيق بحيث تنسيهم أن الوطن إنّما هو جزء من الوجود الشامل، وأنّ سعادته إنّما تقوم بسعادة سائر الأوطان الأخرى».[18]

٣- النزعة الوطنيّة والقوميّة: «الشوق والحنين إلى الوطن»:

ليس غريباً أن نجد الاتجاه القومي والوطني في شعر المهجريين، لأنّ الغصن، وإنْ امتد خارج دائرةِ شجرته، فإنه يظلّ في حنين دائم إلى الجذور التي تهبهُ عناصر الحياة، لذلك فإن الوطن ظل النشيد الأساسي لهؤلاء في غربتهم، وهو الملاذ لأشواقهم، فقلما نجد شاعراً مهجرياً لم تظهر بصمات الوطن في أدبه بصورة مباشرة أو غير مباشرة، فهم متفقون أبداً على الحنين والشوق إلى الوطن[19].

يقول الدكتور عمر الدقاق: «إنّ شعر الشوق والحنين من أوثق الأغراض الشعريّة ارتباطاً في نفوس المغتربين وأكثرها أصالة وهو الشعر المميّز لهم ومفتاح شخصيتهم، وآية لإبداعهم وسرّ خلودهم... وشعر الحنين في أدب المهاجر

16 – عيسى الناعوري، أدب المهجر، ص٥٤٢.
17 – جورج صيدح، أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكيّة، ص٧٥.
18 – عيسى الناعوري، أدب المهجر، ص ١٩٨.
19 – صابر عبد الدايم، أدب المهجر ص ١٠١

الأمريكيّة قاطبَةً إنْ هو إلّا ظاهرة شـاملة تلقّع بها هذا الأدب وسمة عامة اتّسـم بها لأنّهُ كان وليد حالٍ صـعبة من الاغتراب والآلام».

ولاشـكّ أننا حين نذكر الشـوق والحنين إلى الوطن، ونتمثل الاتجاه القومي في شـعر المهجريين، لا نغفل دور العصبة الأندلسـية وشـعرائها. ولعلّ الطابع المميّز لنتاج «العصـبة الأندلسـية» هو الصـوت الوطني والروح الوطنية العالية ونبض العروبة، فقد كانوا في مجملهم ضـد كل احتلال وتسـلّط واسـتعباد، ضـد كل من يقف بوجه تحرّر العرب وتقدّمهم، ومع الاسـتقلال ومع نصـرة فلسـطين. وهذا الصـوت القوي المنطلق بقوة من المهجر الأميركي الجنوبي مردّه، في تفسـير ما، إلى أن الدعوة القومية السـورية أول ما ظهرت في البرازيل وتجمّع حولها المؤيدون. كما أن مفهوم القومية العربية اسـتقطب العديد من الكتّاب والأدباء الذين عبّروا عن مواقفهم في مجلات ودوريات تصدر في البرازيل.

أما العامل الثاني في نتاجهم فكان الحنين إلى الوطن والتعبير عن مشـاعر الشـوق والفقدان، فتراهم قد خلدوا في قصـائدهم تلك المحطات المفصـلية التاريخية في الوطن ودنيا العرب، ومن ذلك ما كان من إلياس فرحات، الذي هاجم الفرنسيين حين قصفوا دمشق:

حاربي الحق واقتلي الأدبا   إن في ذمة الحسام الحسابا

يا ابنة الغرب لن تري بعد هذا الـ   يوم في المشرقين إلا ضبابا

وكتب الشاعر نصر سمعان، وقد هاله ما يحدث في فلسطين من نكبة وضحايا:

يا فلسطين قدستك الضحايا   وكساك الخلود أسنى بروده

يدعي الحق في ترابك شعبٌ   تأنف الأرض من تراب جدوده

وكذلك حيّا إلياس فرحات ثورة الضباط الأحرار في مصر عام 1952 بقوله:

ألا حدثونا عن القاهرة   وعن وثبة البطل الباهرة

أما الحنين الموجع إلى الوطن فكان حاضرًا في قصائدهم، ماثلاً في نتاجهم الأدبي، وخصوصاً شاعر العروبة القروي (رشيد سليم الخوري) الذي غنّى لأمته ووطنه، وكان يستغل كلّ مناسبة للتعبير عن شوقه وحنينه، وكذلك التعبير عن آلام وآمال وأفراح الوطن ومن جميل ما عبّر به عن شوقه وحنينه إلى الوطن، وخير ما عبّر به غن غربته قوله:

نـاءٍ عن الأوطـان يفصـلُني   عـمَّـن أُحـبُّ الـبرُّ والـبحـر

في وحشـةٍ لا شـيءَ يؤنسُـها   إلاَّ أنـا والـعُـودُ والشـعـر

حَولي أَعاجمُ يرطُـــنُون فمـــا   لِلضَّاد عنــد لِسانـــهم قَـــدْر

لو عـــاش بيـــنـــهُمُ ابنُ ساعِدة   لَقضى ولم يُسمَعْ له ذكْـــر[20]

وكتب شفيق معلوف قصيدته الشعرية: الإياب، وخاطب وادي زحلة:

أيُّ صـوتٍ أدعَـى غـداةَ التـنَادي   من دعـــاءِ الأكبـادِ لـلأكبـــادِ

نـشِـط الـشـوقُ لـلإيابِ ونـادَى   بـــاســمِ لبنـانَ في الضلوعِ مُـــنادِ

صـدقت ذمَّـةُ الـزمـانِ فـعُـدنَـا   ننفضُ الجمرَ من خـــلالِ الرَّمـــادِ

هاكَ مَلــهَى الصِّـبا، فيَا قلبُ لَمْلمْ   ذكــريــاتي عــلى ضِفـافِ الــوادِي

مــوطنـــي، ما رشَــفتُ وِرْدكَ إلّا   عــاد عنـهُ فـمي بحُـرقـةِ صَـادِ[21]

لقد ترك شعراء المهجر لوحة شرقيّة نابضة يعبق فيها الحنين والشوق، وتركوا أيضاً صوتاً وطنياً يرعد في البرازيل، فتسمع أصداؤه في دمشق وبغداد والقاهرة وبيروت. وبرأي الناقد المصري وديع فلسطين فإن كل شعراء المهجر كانوا دعاة عروبة، وخصوصاً «العصبة الأندلسية»، وكان لسانهم عربياً فصيحاً هاجموا به الاستعمار. وفي أواخر الخمسينيات ضعُفت العصبة وخفت صوتها، لكن ظلّ الشعراء يكتبون القصائد فرادى، تُذكّر بزمن العصبة الجميل.

مدارس الشعر المهجري

في الوقت الذي برز فيه تيار يسعى إلى نهضة الشعر العربي في المشرق، ومحاولة الارتقاء بمستواه التعبيري والتصويري عما هبط إليه في العصر السابق، تلك النهضة، التي عاصرت ظهور قيم أدبية جديدة، وتحولات اجتماعية وحضارية، أثمرت محاولة الشعراء في الشرق مواكبة هذه التطورات، مع المحافظة على الجذور العريقة للشعر العربي

---

20 الشاعر القروي – البواكير، إيليا الحاوي، ص58.

21 ديوان نداء المجاديف، شفيق معلوف، ص40.

والقيم الأصيلة للأدب واللغة والتاريخ والانتماء، بأسلوب يجمع بين الأصالة والابتكار، وبين الانتماء والإبداع، أدى إلى بروز جماعة الديوان، ظهر في المهجر تيار موازٍ لا يكاد يختلف عنه في الإطار العام، وإن اختلفت الأغراض والرؤى، هذا التيار تجلى في أدب المهجر، على أيدي الشعراء العرب الذين هاجروا إلى الولايات المتحدة وأمريكا اللاتينية، ولم يكن ما حققته حركة الشعر بالمهجر أقل مما حقق شعراء المشرق، بل ربما زاد عليه بسبب مساحة الحرية التي وسّعت مجال التعبير أمام المهجريين، في حين تعرض بعض شعراء المشرق للنفي، مثل أحمد شوقي. و«يبدو أن كلاً من الحركتين لم تكن على علم بالأخرى إلى وقت متأخر من تطورهما، وبعد أن كانت المبادئ الأساسية لكل منها قد استقرت، وهذه المسألة ذات مغزى فني؛ لأنها تكشف لنا عن حاجة الشعر في ذلك الوقت إلى التجديد أينما كان، وتعكس ردود الفعل المتماثلة لدى الشعراء والنقاد العرب في كل مكان كلما اتصلوا بمجالات أجنبية، فقد تأثرت الحركتان (جماعة الديوان وجماعة المهجر) بشكل مباشر وغير مباشر بالشعر الغربي والفِكَر الغربية عن الشعر».[22]

وفي المهجر (الأمريكتين) تشكلت مجموعتان من الشعراء العرب: في المهجر الشمالي الرابطة القلمية، وفي المهجر الجنوبي رابطة الأندلسيين، وسنتناول الرابطتين في الفقرات الآتية.

أولاً– الرابطة القلمية:

«بدأت فكرة الرابطة القلمية عام 1916م، إلا أنَّها أُسست رسميّاً عام 1920م في نيويورك، من قبل بعض كبار الأدباء والشعراء العرب في المهجر، وهم: جبران خليل جبران، وإيليا أبو ماضي، ونسيب عريضة، وميخائيل نعيمة، وعبد المسيح حداد، وندرة حداد، ورشيد أيوب، وأمين الريحاني، ووليم كاتسفليس، وفيليب حتّي، والمطران أنطونيوس بشير، وحبيب كاتبة، وإلياس عطا الله، وذلك بعد جلستين جمعت أولئك الأدباء مع آخرين، الأولى كانت في منزل عبد المسيح حداد، والثانية في منزل جبران، في حضور الأدباء الذين حضروا الجلسة التمهيدية، ووافق الجميع على دستور الجمعية، وانتُخب جبران عميداً لها، وميخائيل نعيمة مستشاراً، ووليم كاتسفليس خازناً»،[23] و«كانت مجلة «السائح» هي اللسان الناطق بأفكار هذه الجماعة، الذي قدم صورة راقية لهذا الأدب»[24]، إلا أنَّ عمرَ الرابطة لم يطُل؛ فقد انحلَّت وتفكَّكت بمجرَّد موت جبران خليل جبران عام 1932م.

كان أهم ما يميز نتاج شعراء الرابطة القلمية هو «أنهم قاموا بثورة على الشكل واللغة في الشعر، وأنهم هم الذين أدخلوا الموضوعات التجريدية والمواقف الفلسفية في الشعر، وعلى أيديهم أفلحت الرومانسية في الدخول إلى

---

22 الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث، سلمى الخضراء الجيوسي، ص101.

23 الرابطة القلمية، المعرفة، موسوعة إلكترونية.

24 حكايات المهجر، عبد المسيح حداد، المقدمة، مؤسسة هنداوي، 2021م. وينظر ويكيبيديا الموسوعة الحرة، السائح (جريدة).

الشعر... فقد مَّر النتاج الشعري لدى شعراء المهجر الشمالي بتغير كبير».[25] «وعلى المستوى الفني كان ثلاثة من أكثر الشعراء تأثيراً في الشعر العربي–الأمريكي من أدباء الشمال، وهم الريحاني وجبران ونعيمة، الذين كان لهم من الجرأة وتنوع الخلفية الثقافية، ما ساعد في فرض آراء ومفاهيم جديدة على معاصريهم».[26] «فقد كانت الخلفية الشعرية واحدة لدى جميع هؤلاء الشعراء، يصف ميخائيل نعيمة ذلك، في مقالة كتبها 1949م: لقد كان الفكر مغلقاً، والذوق (الأدبي) آسناً، والإرادة الخلاقة مشلولة، فما يجرؤ الشاعر أن يحيد عن القافية في القصيدة الواحدة، ولا أن يتخطى الأبواب التي طرقها الشعر العربي منذ أقدم الأزمنة».[27]

خصائص الرابطة القلمية:

1- التأمل في الوجود وما فيه من دقائق ومن أسرار: وذلك بالدخول في تفاصيل الحياة بعمق وتأمل، للكتابة عن الوجود بشكل عام، فظهرت في شعرهم اللمحات الخاصة بشعر الزهد وشعر الصوفية، ويتضح في منهجهم التأملي التأثر بفلاسفة الشرق والغرب، كما نجد عند إيليا أبي ماضي في قصيدته «العنقاء»، التي تحدث فيها عن الحقيقة، معارضاً ابن سينا في قصيدته عن الروح، التي مطلعها:

هبطتْ إليكَ من المحلِّ الأرفعِ   ورقاءُ ذات تعزّز وتمنّع

فيقول أبو ماضي:

أنا لست بالحسناء أول مولع   هي مطمع الدنيا كما هي مطمعي

فاقصص عليَّ إذا عرفت حديثها   واسكن إذا حدّثت عنها واخشع

ألمحتها في صورة؟ أشهدتها   في حالة؟ أرأيتها في موضع؟

إني لذو نفس تهيم وإنها   لجميلة فوق الجمال الأبدع

ويزيد في شوقي إليها أنها   كالصّوت لم يسفر ولم يتقنّع

---

25 الاتجاهات والحركات في الشعر العربي، سلمى الخضراء الجيوسي، ص102-103.
26 المصدر السابق، ص104.
27 الاتجاهات والحركات في الشعر العربي، سلمى الخضراء الجيوسي، ص102-103.

فتّشـــت جيب الفجر عنها والـــدّجى ومـددت حتى للكواكـب إصـــبعي

فــاذا همــا مــتــحــيران كـــلاهمــا في عــاشق مــتــحــير مــتــضعــضــع

وإذا النجــوم، لعلــمــها أو جــهلها، مترجـــرجـــات في الفضـــاء الأوســـع

رقصــت أشــعتها على ســطح الدجى وعـلى رجـاءٍ فيّ غـير مشـــعشـــع

والبحر كم ســـائلته فتضـــاحكـت أمــواجــه من صــوتي الــمتــقــطّــع

فرجعت مرتعـــش الخواطر والـــمنى كحمـــــامة محمـــــولة في زعــــزع

وكـأنّ أشــــبــاح الـدهـور تـألـبـت في الشـــطّ تضـــحك كلّها من مرجعي

ولكم دخلـت إلى القصـــور مفتشـــاً عنهــا، وعُــجت بــدراسات الأربُــع

إن لاح طيف قلــت: يــا عين انظري أو رنّ صــــوت قلـت: يـا أذن اسمعي

فـإذا الـذي في الـقـصـر مثـلي حـائر وإذا الـــذي في القــفر مثــلي لا يــعي

قـــالـــوا: تـــورّع، إنهـــا محـــجـــوبـــة إلاّ عــــن المــــتــــزهّــــد المــــتــــورّع

فـــوأدت أفـــراحي وطـــلّـــقت الـــمنى ونســـــخت آيات الهوى من أضـــــلعي

وحــطــمــت أقــداحــي ولمــا أرتــو وعـــفـــفت عن زادي ولــمـــا أشـــبـــع

وحسبتـــني أدنـــو إليـــهـــا مـــســـرعـــا ... فـــوجـــدت أني قد دنوت لــــمصرعي

ويظهر في هذه القصيدة تأثر الشاعر بالشعر الصوفي، إذ يقترب في نهايتها من قصيدة الفراشة المحترقة في شعر عمر الخيام، وفريد الدين العطار، وجلال الدين الرومي، إضافة إلى كون القصيدة معارضة لعينية ابن سينا التي تتحدث عن الروح، في حين تحدث أبو ماضـي عن الحقيقة المطلقة التي تحدث عنها أهل التصـوف، فقد «نزع المهجريون الشـــماليون منزعاً فلســـفياً تداولوه في رابطتهم القلمية وغير القلمية، وراحوا يعالجون حقيقة الحياة وعالم الروح، وصدعتهم آراء نيتشه، ورومنطيقية وليم بليك، وتحليلات رينان، وخصوصاً روحانية التيوصوفية ونظرياتها الحلولية والكونية، فانجرف كثير منهم في تيارات اختاروا منها ما شـاؤوا، وبرز منهم أمثال جبران ونعيمة، وكان جبران رأس المدرســة الفلســفية المهجرية، وكان نعيمة مكبراً لصـوت جبران وموســعاً لآرائه في كثير من الترديد وكثير من الشــخصــية... وإن كانت لنا كلمة نقولها ففي التيوصــوفية التي ظهرت منذ القرن الخامس عشــر، وراحت تمتد وتتفرع، وتدّعي أن معرفة الله تتم عن طريق معرفة الذات وبواسـطة الوحي الذاتي، فتسـمو الروح بذلك سموّاً تتحد في نهايته بالله... والتيوصـــوفية ترفض من أجل ذلك التقاليد والأنظمة التي توارثها الأجيال، ولا تجد فرقاً بين الأديان، فهي جميعها في نظرها واحدة »![28]

ومع أن جبران قد نفذ إلى فكرة «الإيمان العميق بالله، الذي يصل إلى درجة التصوف أحياناً؛ فذات الله عنده هي مقصد العبادة الأسنى، وليست العبادة لأغراض نريدها، كصلاح الأحوال الدنيوية، والرغبة في الجنة، والخوف من النار. يقول في مطولته «المواكب» مهاجماً طريقة فهم الدين عند بعض الناس، إذ تغلب عليها السمة التجارية:

والدين في الناس حقلٌ ليس يزرعـــــهُ ... غــير الألى لهـــمُ في زرعــه وطــرُ

مِــن آمــنٍ بنعــيم الخـلــد منــتــشــر ... ومن جـــهول يخـــاف النار تســتــعــر

فالقوم لولا عقـــــاب البعث ما عبدوا ... رباً ولولا الثواب الـــــمرتجــــى كفروا

كأنمـــا الـــدين ضرب من متـــاجرهم ... إن واظبوا ربحوا أو أهملوا خســـروا[29]

28 الجامع في تاريخ الأدب العربي: الأدب الحديث، حنا الفاخوري، ص237 – 238.

29 أدب المهجر: دراسة تأصيلية تحليلية لأبعاد التجربة التأملية في الأدب المهجري، صابر عبد الدايم، ص242.

وهو بهذا الفهم لمغزى العبادة اقترب من الفهم الصـــوفي المتمثل برابعة العدوية، في قولها «إلهي إنك تعلم أنني ما عبدتك إلا لأنك رب تستحق العبادة». لكن هذه النظرة لم تكن ثابتة عند جبران، إذ استهوته نظرات ابن سينا في الحدس والكشف والإشراق وشمولية الإنسان، لتنمو لديه فكرة «الخلود» وعودة الروح، فآمن بتناسخ الأرواح، وهو فهم بعيد عن الإسلام عموماً وعن التصوف الإسلامي خصوصاً، «وقد عالج سائر أدباء المهجر موضوع النفس في آثارهم، متأثرين بفلاسفة المسلمين، فهذا نسيب عريضة، الذي حجب نفسه عن الناس وحبسها في عالم خاص من الحيرة واليأس والألم، يعود إليها فيرق لها، ويسائلها في عطف بالغ:

يا نفس ما لك والأنين تتألمين وتؤلمين

عذبت قلبي بالحنين وكتمته ما تقصدين

فيحار في أمرها، حتى ليكاد ييأس من إصلاحها، فيتمني أن تفارقه، ويدعوها إلى مغادرة جسمه والعودة إلى عالمها العلوي:

يا نفس هل لك في الفصال فالجسم أعياه الوصال

حمّلته ثقل الجبال ورذلْتهِ لا تحفلين

ونسيب عريضة في قصيدته «على طريق إرم» تأثر بفريد الدين العطار النيسابوري، في كتابه «منطق الطير»، وقد أعجب أدباء المهجر كذلك بابن الفارض، يقول رشيد أيوب في قصيدة بعنوان «ليتني» مبينا إعجابه الشديد بهذا الشاعر العاشق:

ليتني أعرف في أي النجوم حلَّ ربُّ العاشقين الفارضي

لبعثت النفس من خلف الغيوم فتناجيه ببرق وامض

ولعل تائية ابن الفارض، التي مطلعها:

سقتني حميّا الحبّ راحة مقلتي وكأسي محيّا مَن عن الحسن جلّت

نالت أكبر نصيب من إعجابهم، لما جاء فيها من أفكار في النفس وأسرارها وأحوالها وانفصالها، فعارضه رشيد أيوب بتائية سماها «جمال الموت»، قال في مطلعها:

كؤوسُ الهوى دارت علينا بليلةِ وقد أُترعت من روح خمر المحبةِ

ولا نغفل تأثر بعض المهجريين برباعيات الخيام، فلنسيب عريضة رباعيات مشابهة متفرقة في ديوانه، ولأيوب في ديوانه رباعيات باسم «أغاني الدرويش»، وكلاهما تأثر في مضامينهما بالخيام تأثراً بارزاً.[30]

---

30 المصادر الفلسفية لأدب المهجر الشمالي، نصر الله الشاملي، وصبحت حسنوند، ص102.

2- الشوق والحنين إلى الوطن، الذي بات يميز شعرهم ويشغل معظم مضامينه وأغراضِه:

ومن ذلك قول إيليا أبي ماضي:

جـعـت والخـبـز وثـير في وطـابي   والسّـنـا حولي وروحي في ضـبـاب
ج
وشـربـت المـاء عـذبـا سـائغاً   وكـأني لم أذق غـير سـراب

محـنـة لـيـس لها مـثـل سـوى   مـحنـة الـزّورق في طـاغي العُباب

لـيـس بي داء ولـكـني امـرؤ   لسـت في أرضـي ولا بـين صـحابي

مـرّت الأعـوام تـتـلـو بـعضـهـا   للورى ضـحكي ولي وحـدي اكتئـابي

كلّمـا اسـتولـدت نفسـي أمـلاً   مـدّت الـدّنيـا لـه كفّ اغتصـاب

ربّ هـبـني لـبـلادي عـودة   ولـيـكن للغـير في الأخـرى ثـوابي

أنـا فـي نيـويـورك بالـجـسم وبـالـرّوح في الشـرق على تلك الهـضـاب

في ابتسـام الفجر في صـمت الدّجى   في أسى «تشرين» في لـوعـة «آب»

أنـا في الـغـوطـة زهـر ونـدى   أنـا في لـبـنـان نجـوى وتصـابي

ويستذكر رشيد أيوب كيف كانت حياته في وطنه قائلاً:

فللَّهِ عَيشـي فيـه كَم كان مُـخـصِباً   وللـهِ عَيشـي فِيـهِ كَم كانَ حالِـيَـا

أُقلِّبُ طَـرْفِي في مُـحيـطي فَـلا أرى   مـنَ القَـومِ إلاَّ خـاليَ البـالِ لاهِيَـا


ZIU JORNAL
مجلة جامعة الزيتونة

أما جبران فيستذكر جبل لبنان الملهم للشعراء، فيقول:

لبنان في أسمى المعاني لم يزل   لأولي القرائح مصدر الإيحاء
جبل أناف على الجبال بمجده   وأناف شاعره على الشعراء
يا أكرم الإخوان قد أعجزتني   عن أن أجيب بما يشاء وفائي
مهما أجد قولي فليس مكافئاً   قولاً سموت به على النظراء

ولم يكتف شعراء الرابطة بالحنين، وإنما حملوا معاناة الوطن، فكتب نسيب عريضة قصيدة تتألم لما أصاب فلسطين، ويعتذر لعجزه عن المشاركة في الذياد عنها، قال فيها:

فِلَسطِينُ من غُربةٍ مُوثَقَة   نُراعيكِ في الكُربةِ المُطبِقة
فَتَعلُو وتهبُطُ منّا الصُدورُ   ونَهفُو وأبصارُنا مُطرِقَة
ومن خلفِ هذا الخِضَمِّ البعيد   نُحيِّيكِ بالدَمعةِ المُحرِقة
جِهادُكِ أَورى زِنادَ النُفوس   فطارَت شَرارَتُها مُبرِقة
جِهادٌ ملأتِ بهِ الخافِقَينِ   فضاقَت بهِ القُوَّةُ المُرهِقة
وسَطَّرتِ آياته في الخُلودِ   بأرواحِ أبنائكِ المُزهَقة
فلسطينُ كم آرِقٍ بيننا   وبعضُ البَليَّةِ ما أَرَّقَه
إلى ساحةِ المجدِ فيكِ يَتوقُ   ولكنَّ حبلَ النَوى أوثَقَه
فيُمسي على ثَورةٍ في الحَشا   ويُصبِحُ والعَينُ مُغرَورِقة
وتبكِي المُروءةُ مجروحةً   وتأسى الأمانيُّ مُخلَولِقة

3- الدخول في الأعماق النفسية للإنسان، ووصفها وما يجول فيها من خبايا، وأسرار:

ومن ذلك قول نسيب عريضة:

بـين الـعَـواصــــف والـريـاحْ   نـفـسٌ تَـطـيرُ بـلا جَـنـاحْ

نـفـسٌ تَـعِـجُّ مـع الـرعـودْ   نـفـسٌ تُـزَمجِـرُ كـالأســـودْ

تـعـلـو الشَــواهـقَ والـقِـمـمْ   تـطـأ الـكـواكـبَ بـالـقَـدمْ

حــتى يَـذلَّ لهـا السُّــــهـى   وتــطــولَ أوجَ المـنــتــهــى

وتــرى الـكَـرامـةَ كـلَّـهـا   واهــاً لهــا واهــاً لهــا

وقد أفضى ذلك التعمق ببعضهم إلى روح تشاؤمية، كما نجد عند ندرة حداد، في قوله:

يـا ويـح قـلـبي كـم أحـــــــمِّـلـه   مـا قـد يـنـوء بـثـقـلـه الجـبـل

يـا لـيت لــــي أمـلاً أعـلِّـلـه   يـومـاً بــه إن يـنـفـع الأمـل

وفي قوله:

مـا مـر بـي حـال تـسـر ولا   زمـن رآه الـقـلـب فـابـتـهـجـا

فكـأن جـسـمي حـيـنـمـا جُـبـلا   من طيـنـة بِالْـهَـمِّ قـد مُـزجـا

4- التجديد في الأغراض الشعرية واللغة، والبلاغة:

أما التجديد في الأغراض الشعرية فقد طرق شعراء الرابطة القلمية موضوعات جديدة زاوجت بين الرؤى الأدبية لشعراء الشرق والغرب والفلسفات والمعتقدات الدينية المختلفة، فجبران مثلاً كان يؤمن بتناسخ الأرواح، في حين كان ميخائيل نعيمة يؤمن بوحدة الوجود الفلسفية لا الصوفية الإسلامية، أما إيليا أبو ماضي فقد كان يؤمن بالداروينية، وفي ذلك قوله في قصيدة «الطلاسم»:

جئتُ لا أعلمُ من أيـ   ـنَ ولكـني أتيتُ

ولقـد أبصرت قُـدّا   مي طريقاً فمشيت
وسـأبقى سـائراً إن   شـئتُ هـذا أم أبيتُ
كيف جئتُ؟ كيفَ أبصر   تُ طريقي لست أدري!

وشمل ذلك التجديد الصـــور البلاغية، كقول جبران: «أزهار الأودية أطفال يلدها انعطاف الشـــمس وشـــغف الطبيعة»، وقوله:

فوق سرب من غمامات الشجون   ملؤها الآلام

وقول إيليا أبي ماضي:

وَقَد كانَ لي قَلب وَكُنتُ بِلا هَوىً   فَلَمّا عَرَفتُ الحُبَّ صُرتُ بِلا قَلبِ

وفي الموسـيقا خالفوا منهج المدارس السـابقة وقواعد الشـعر العربي، فظهر عند جبران اقتطاع من تفعيلات الشـطر الثاني:

ومن ذلك «أغنية الليل»، وذلك بتفاوت شـطريها من حيث عدد التفعيلات، فالشـطر الأول أطول من الشـطر الثاني، وقد نظمها على بحر الرمل، فجاء الشطر الأول من تامه، والثاني من مجزوئه:

ســـكن اللـــيـــل، وفي ثـــوب السكون   تـــخـــتـــبـــي الأحـــلام

وســـعـى الـبـدر، ولـلـبـدر عـيـون   تـرصـــد الأيـــــــام

ولجبران أيضاً في قصيدة أعطني الناي وغنِّ قوله:

هَلْ تَحَمَّمْت بِعِطْرٍ   وَتَنَشَّفْت بِنُور

فجاء بكلمة «تحممت» التي خالف بصـيغتها المعجم العربي. ولا أظن أن ذلك كله متقصـد لأجل مخالفة القواعد العربية، لأنه لم يظهر في نصـوص الجميع، وإنما مرجعه عدم تعلق الشـاعر بفصـيح اللغة وسـلامة العروض، إلى جانب رغبته في اختزال معانيه التعبيرية والتصـــويرية، كما برزت في زمانهم أشـــكال كتابية جديدة، كالذي أسموه الشعر الحر، كما نجد عند نسيب عريضة.

5- بروز النزعة الإنسانية وقيمها، وقيمة الفرد نفسه، تأثراً بأدباء الغرب: ومن ذلك قول إيليا أبي ماضي:

كُن بَلـــسَمـــاً إن صارَ دَهرُكَ أَرقَمـــا   وَحَـــلاوَةً إن صـارَ غَيرُكَ عَلـــقَمـــا

إنَّ الحَـيـاةَ حَـبَـتـكَ كُـلَّ كُـنـوزِهـا   لا تَبخَـلَنَّ عَلى الحَـياةِ بِـبَـعضِ مـا

أَحسِن وَإِن لَم تُجزَ حَتّى بِالثَنا   أَيَّ الجَزاءِ الغَيثُ يَبغي إِن هَمى

مَن ذا يُكافِئُ زَهرَةً فَوّاحَةً   أَو مَن يُثيبُ البُلبُلَ المُتَرَنِّما

عُدَّ الكِرامَ المُحسِنينَ وَقِسهُمُ   بِهِما تَجِد هَذَينِ مِنهُم أَكرَما

يا صاحِ خُذ عِلمَ المَحَبَّةِ عَنهُما   إِنّي وَجَدتُ الحُبَّ عَلماً قَيِّما

لَو لَم تَفُح هَذي، وَهَذا ما شَدا   عاشَت مُذَمَّمَةً وَعاشَ مُذَمَّما

فَاِعمَل لِإِسعادِ السِوى وَهَنائِهِم   إِن شِئتَ تَسعَدَ في الحَياةِ وَتَنعُما

أَيقِظ شُعورَكَ بِالمَحَبّةِ إِن غَفا   لَولا الشُعورُ الناسُ كانوا كَالدُمى

أَحبِب فَيَغدو الكوخُ كَوناً نَيِّراً   وَاِبغُض فَيُمسي الكَونُ سِجناً مُظلِما

ولعل أكثرهم نقمة على الحروب كان ميخائيل نعيمة، الذي قال:

أخي إن ضجّ بعد الحرب   غربيٌّ بأعماله

وقدّس ذكر من ماتوا   وعظّم بطش أبطاله

فلا تهزج لمن سادوا   ولا تشمت بمن دانا

بل اركع صامتاً مثلي   بقلبٍ خاشعٍ دامٍ

لِنَبْكِي حَظَّ مَوتانا

أخـــي إن عـــاد بـعـــد الحـــرب جـــنـــديٌّ لأوطـــانـــــــــــه

وألـــقى جـــســمـــه الـــمنـــهـــوك فـــي أحـــضـان خـــلاّنـــه

فـــلا تـــطـــلـــب إذا مـــا عُـــدتَ لـــلأوطـــان خـــلاّنـــــا

لأنّ الـــــــجـــــــوع لم يـترك لنا صـــحـبـــاً نـــنـــاجـــيـهـــم

سِوى أَشْباحِ مَوْتـانا

أخـــــي إن عـــــاد يحرث أرضـــــه الـــفـــلاح أو يـــزرع

ويـبـني بـعـد طولِ الـــــهـجـــــر كـــوخـــاً هـــدّه الـــمدفع

فـقـد جـفّـت ســـــواقـيـنـا وهـــــدّ الـــذلّ مـــأوانـــا

ولـــم يـــترك لـــنـــا الأعـــداء غـــرســــــاً فـــي أراضـــيـــنـــا

سِوى أجْيافِ مَوتـانا

6- التأثر بالروح العربية الشـرقية، والابتعاد عن الزخرفة اللغوية، وتحري البسـاطة، وانعدام التعقيد، والاعتماد على الألفاظ السـهلة، والكلمات القريبة، والتراكيب السـلسـة، تأثراً بالحياة الغربية، فغاب من شـعرهم الجناس والطباق، ورد العجز على الصـدر، وبراعة الاسـتهلال، والفنون الشـكلية التي زخر بها الشـعر في العصـر السـابق لعصـرهم، وانصـرف تركيزهم إلى المعاني وإلى الجانب التعبيري الدقيق لخلجات النفس أو توصـيف الأحوال الإنسانية، أو مظاهر الجمال في الطبيعة وفي النفس وفي القيم الإنسانية.

7- الاهتمام بالطبيعة ووصف جمالها، وتغنوا بما فيها من مظاهر بديعة:

فهذا رشيد أيوب يشتاق إلى الربيع ويهلل لإقباله:

مـرحـباً ذبـنـا اشـتـياقـاً يـا ربـيـع يا خـفـيـف الـروح أهـلاً مـرحبـا

كلما ضاء محياك البديع   هبت الأرض تباهي الكوكبا

ويستمد إيليا أبو ماضي من جمال الطبيعة وعطائها نظرة يدعو بها الأنسان إلى التفاؤل:

أيّهذا الشّاكي وما بك داء   كيف تغدو إذا غدوت عليلا؟

إنّ شرّ الجناة في الأرض نفس   تتوقّى، قبل الرحيل الرّحيلا

وترى الشّوك في الورود وتعمى   أن ترى فوقها النّدى إكليلا

أدركت كنهها طيور الروابي   فمن العار أن تظل جهولا

تتغنى، والصقر قد ملك الجو   عليها والصائدون سبيلا

تتغنى، وقد رأت بعضها يؤ   خَذُ حياً والبعض يقضي قتيلا

فهي فوق الغصون في الفجر تتلو   سور الوجد والهوى ترتيلا

ثانياً– العصبة الأندلسية:

أسسها في المهجر الجنوبي (أمريكا الجنوبية) سنة 1932م، جماعة من الأدباء والشعراء تميزت كتاباتهم بالمحافظة على القديم، ومحاولة التجديد في طرائق الإبداع الشعري وأساليبه، كما اهتموا بجزالة الألفاظ ومراعاة قواعد البلاغة والعروض، ويرجع الباحثون ذلك إلى كون أمريكا الجنوبية في تلك الفترة كانت شبيهة بالمجتمعات العربية المحافظة. وعلى رغم ذلك فقد برز من شعراء المهجر الجنوبي من تميز نتاجهم الشعري بالجمال والقوة، مثل فوزي المعلوف والشاعر القروي. «إن المهاجر بطبيعته إنسان طليق مقدام... لا يهاب المخاطرة بالإقدام على المجهول... والمهاجرون إلى أمريكا الجنوبية أحوج إلى هذه الخصلة من إخوانهم الذين هاجروا إلى أمريكا الشمالية؛ لأن المهاجر إلى ولايات الشمال ينزل بأرض ممهدة ويقدم على خطط مرسومة معبَّدة، ويكاد يَعرف ما سيصيبه في هجرته قبل فراقه لوطنه، فلا يبقى بين يديه غير التجربة التي لا اقتحام فيها، وعلى خلاف ذلك مهاجر الجنوب؛ إنه ليجدد «نصف مجازفة» كولمبس بعد نزوله بدار الهجرة، وإنه ليصنع لنفسه من جديد كل ما يصنعه المقتحمون من حوله،



ولو كانوا من أبناء القارة الأصلاء، وإنه باسم المكتشف لأحرى منه باسم المهاجر الغريب!... وهو على هذه الحال أحوج من سائر المهاجرين إلى العلاقة الروحية بكل ما فارقه في دار مولده أو دار نشأته الأولى... فإنه لم يفارق من أجواء بلاده الروحية جو العقيدة الدينية؛ لأن أكثر المهاجرين من المؤمنين بالدين المسيحي، يتبعون الكنائس التي يتبعها أبناء القارة الجنوبية. إنما فارق المهاجر العربي إلى الجنوب جواً واحداً من أجواء بلاده الروحية، ينقطع عنه حين يتصل به المقام في وطنه الجديد... فارق اللغة، وليس لديه أعز منها ولا أحق منها بالحنين والتذكار، ويهون المساس بكل شيء، إلا هذه البقية الباقية من أمانة القلب واللسان. ولقد أطلق أدباء المهجر الجنوبي على أنفسهم «العصبة الأندلسية» بحق ودراية؛ لأن الأندلس القديمة هي النسخة الوحيدة التي سبقت نسخة العصبة الأندلسية الجديدة في تاريخ اللغة العربية، على هذا الطراز، فليس هناك ألسنة أفراد يختلفون، بل ليس هناك غير لسان القومية الواحدة ينطق ببديهة واحدة، ولا يسمح «للشخصية» على قوتها أن تتغلب عليه بسمة من سماتها المستقلة، وإن كانت «الشخصية الفذة» لتنصف نفسها كما تشاء، في ما عدا اللغة والأسلوب، تنصف نفسها في ما تتميز به الشخصيات القوية من مزايا الأخلاق والضمائر وأسرار البداءة والعبقريات».[31]

تأسيس العصبة الأندلسية:

«كان ميشال المعلوف أديباً صادق الموهبة الأدبية، وكان على بسطة في المال، فتألم لما رأى من حال الأدب، وقرر مع بعض رفاقه أن يعملوا عملاً حاسماً في توجهه والسمو به، فالتف حوله نخبة من الأدباء المهجريين، وكان صاحب الفكرة في الأصل الشاعر شكر الله الجر، صاحب مجلة «الأندلس الجديدة»، فقصد ميشال معلوف فوجد لديه الاستعداد الكامل لتنفيذ الفكرة، فأنشؤوا رابطة أطلقوا عليها اسم «العصبة الأندلسية»، وأنشؤوا لها مجلة دعوها «العصبة»، كان ذلك في مطلع كانون الثاني (يناير) 1932م، وكان ميشال معلوف أول رئيس لها، ونائبه داوود شكور، وأمين سرها نظير زيتون، وأمين الصندوق يوسف البعيني، وخطيب العصبة حبيب مسعود، والأعضاء نصر سمعان، وحسني غراب، ويوسف غانم، وإسكندر كرباج، وأنطون سليم سعد، وشكر الله الجر... وبعد ذيوع اسمها، ولا سيما بعد صدور مجلتها، انضم إليها نخبة من أقدر الأدباء، هم شفيق المعلوف، والشاعر القروي رشيد سليم الخوري، وأخوه قيصر المعروف (باسم الشاعر المدني)، وتوفيق قربان، ونعمة قازان، وإلياس فرحات، وعقل الجر، ونجيب يعقوب، وجورج أنطون كفوري، وأنيس الراسي، وجورج الخوري كرم، وجبران سعادة، ثم تبعهم بعد سنوات توفيق ضعون، ورياض المعلوف، وجورج ليان، وسلمى صائغ،وفؤاد نمر، وزكي قنصل. وتسلم رئاسة تحرير مجلة «العصبة» منذ إنشائها حبيب مسعود، نظراً إلى خبرته في مجال الصحافة، وفي عام 1941 توقفت إثر إصدار رئيس البرازيل قراراً يحظر إصدار أي صحيفة بغير لغة البلاد الرسمية، ثم عادت إلى الصدور عام

31 دراسات في المذاهب الأدبية والاجتماعية، عباس محمود العقاد، ص 75 – 76.



مجلة جامعة الزيتونة الدولية –العدد الواحد والثلاثون

Issue N.31– Vol.2 / ISSN:2958–8537

1947، ثم توقفت نهائياً بعد سنتين، وبعد وفاة ميشال معلوف تسلم قيادة العصبة الشاعر القروي، ومن بعده شفيق المعلوف الذي كان آخر رئيس لها، إذ توفي عدد من أعضائها، وبعضهم انفضوا من حولها لأسباب خاصة، وبعضهم عاد إلى الشرق».[32] . وكان للعصبة إصدارات كثيرة.[33] «وكانوا يَهتَمُّونَ بعَقْدِ النَّدَواتِ والجَلَسات في ما بينهم، وفي ذلك يقولُ زكي قنصل:

نادٍ تحُجُّ له القُلوبُ وتَلتَقي   فيه العُقولُ على هُدًى وصَلاحِ

يتصاوَلُ الفُرسانُ في حَلَباتِه   بالرَّأي لا بأَسِنَّةٍ وصِفاحِ

إن لَمْ يكونوا مِنْ أبٍ وعَشيرةٍ   فهُمُ رِفاقُ ثقافةٍ وكِفاحِ[34]

القضايا التي عالجها شعر العصبة الأندلسية:

«ظل معظم أدباء العصبة الأندلسية يجري على سنن المحافظين في الشرق، ويرى رأيهم في وجوب المحافظة على الديباجة العربية البليغة... وتختلف مواضيع هذا الشعر، ففيه القومي والوجداني والأسطوري والاجتماعي، وفيه فلتات من الشعر الروحي يظهر فيها أثر جبران ونعيمة. ومن أشهر ما عرف الشعر القومي قصائد الشاعر القروي وإلياس طعمة وفرحات وعقل الجر وجورج صيدح وجورج الكعدي ونصر سمعان، ومن الشعر الوجداني قصائد لفوزي المعلوف وشفيق المعلوف والقروي ورياض المعلوف وإلياس فرحات ونصر سمعان وجورج صيدح وشكر الله الجر وغيرهم، ومن الشعر التصويري قصائد لمعظم هؤلاء المذكورين، ومن الخيالي والتأملي «على بساط الريح»

---

32 أدب المهجر، عيسى الناعوري، ص28 – 30.

33 أشهر هذه المؤلفات «عبقر» ملحمة شعرية، و«نداء المجاذيف»، و«لكل زهرة عبير»، و«عيناك مهرجان»، و«سنابل راعوث»، وكلها لشفيق المعلوف. و«ديوان القروي»، للشاعر رشيد سليم الخوري، وقد جمع فيه دواوينه السابقة كلها، وهي «الرشيديات، والقرويات، والأعاصير، واللاميات الثلاث». و«ديوان فرحات» في ثلاثة أجزاء، و«رباعيات فرحات»، وأحلام الراعي، وكلها لإلياس فرحات. و«معلقة الأرز» و«المحراث» لنعمة قازان. و«خيالات» و«زورق الغياب» لرياض المعلوف. و«جبران حياً وميتاً» و«ما أجملك يا لبنان» لحبيب مسعود. و«ذكرى الهجرة» و«سيرة حياتي» لتوفيق ضعون. و«روسية في موكب التاريخ» لنظير زيتون. و«صور وذكريات» لسلمى صائغ. و«أقاصيص» لجورج حسون معلوف. و«الروافد» و«زنابق الفجر» و«أغاني الليل» و«قرطاجة» و«لابيس الكورنتية» (شعراً)، و«نبي أورفليس» و«المنقار الأحمر» و«الوشاح الأبيض» و«جزر الخطيئة» (نثراً) لشكر الله الجر. و«ديوان عقل الجر»، وقد أصدره أخوه شكر الله عام ١٩٦٤ في بيروت. و«ديوان نصر سمعان» لنصر سمعان، صدر بعد وفاته. وهناك عدد آخر من المؤلفات لهؤلاء وسواهم. أدب المهجر، عيسى الناعوري، ص30.

34 الأدب العربي الحديث، مسعد العطوي، ص135.

لفوزي المعلوف، ومن الروحي قسم من معلقة «الأرز» و«المحراث» لقازان، وقصائد أخرى عديدة له ولبعض زملائه الآخرين. وهكذا فقد عالج شعراء المهجر الجنوبي كل المناحي الشعرية تقريباً، فأجادوا وتفوقوا، وتركوا لشعرهم دوياً في دنيا الضاد».[35] ولعل أبرز هذه القضايا «ثنائية الأهل والوطن» بين الحنين إلى الأهل واستشعار حزنهم على فراق أبنائهم المهاجرين، وبين الحنين إلى الوطن ومشاركته معاناته وآلامه في ظل الاحتلال الأوربي، فيستذكر شفيق المعلوف، في قصيدته «بين شاطئين» ساعة السفر ولحظات الوداع المبكية:

ذراعُ ملاقٍ إثرَ كَفِّ مودِّعِ   تلوحان لي كلتاهما خلف مَدمعي

مناديلُ من ودَّعتُ يخفِقنَ فوقهم   فلا تُرهقيهم يا سفينةُ أقلعي

بَعُدْنَ فغشاهنَّ دمعي كأنني   أراهنَّ من خلف الزجاج المُصَدَّع[36]

ويتخيل إلياس فرحات أمه تجلس على الشاطئ كل يوم ترتقب عودة أبنائها، فينقل إحساسها بقصيدة مبكية:

أنفقت عمرك ترقبين رجوعنا   وتجوس كل سفينة عيناك

وتحمّلين الريح كلَّ رسالة   خرساء لقَّنها فؤادُك فاك

ما مرت النسمات بي عند الضحى   إلا عرفت بطيبها رياك

والبدر لم يظهر لعيني مرة   إلا قرأت بوجهه نجواك

أشقى النساء على الثرى أمٌّ قضت   أيامها في وحدة النسّاك

أبناؤها ملؤوا البيوت وبيتها   خال من الحدّاث والضُّحّاك

35 أدب المهجر، عيسى الناعوري، 18 - 19.

36 ديوان نداء المجاديف، شفيق معلوف، 104.

تـرنـو إلى الأفـق الـبـعـيـد بمـقـلـة		تبـــغي احـــتراق دوامـــس الأحـــلاك

وقضت ملـــوعـــة الفـــؤاد وعـــيـــنـــها		تجـتـــال بـــين الـــبـــاب والشــــبـــاك

حسبُ الـــمهاجر لـــوعـــة أن الأسى		يقـــضي عليه ولا يـــرى مـــشـــواك

أما زكي قنصل فيخاطب الشام بأنها أمه التي فارق هناء العيش بفراقها:

أنـا وليـدك يـا أمــــــاه كم ملكـت		ذكراك نفـــســي وكم ناجاك وجدان!

منـــذ افـــترقـــنا نعيم العيـــش فارقني		والهـــم والـــغـــم أشــــكـــال وألـــوان

عهد الشـــباب وعهد الشـــام إن مضـيا		فكـــل مـــا أعـــطت الأيـــام حـــرمان

ولم يبعد عنه نعمة قازان في استشعار أمومة الوطن، فيتمنى لو تطأ قدمه أرض وطنه لبنان:

بـــلادي أأســـطيـــع نـــكرانها		إذن فـــاقـلعوا الحـــب مـن بـزرتي

ولـــبـــنان أمـــي بـــه حفنـــة		ســـقتك الســـموات يـــا حفنتي

ج

وأهلـــي ومـــاذا أقـــول بـــأهلي		ومـــاذا أقـــول بمـــحبوبـــتي؟

أقـــول بـــقاع الـــدنى حـــلوة		وأحـــلى بـــقاع الـــدنى بقعتي

ولـــولا الـــرجاء بعـــود الرجا		قـــذفت بنفسي إلـــى الـــهوة

ويؤكد إلياس فرحات أن انتماءهم لا يقتصـــر على حدود أرض الميلاد والمنشـــأ، وإنما هو للعروبة في كل أرض، فيقول:

إنّـــا، وإن تكـــنِ الشـــآمُ ديـــارَنـــا، فـــقـــلـــوبـــنـــا للعـــرب بالإجـــمـــال

نـــهوى العراق ورافـــديـــه وما على أرض الجزيرة من حصـــاً ورمـــــــال

وإذا ذكـــرتَ لنا الكنـــانـــة خـــلتـــنا نـــروى بســـــابغ نيلهـــا السلسال

بِـــنَّـــا ومـــا زلـــنـــا نـــشاطـــرأهـــلـــهـــا مُـــرَّ الأســـى وحـــلاوة الآمـــال

وفي الوقت، الذي امتدت أيدي الاحتلال الأوربي إلى الوطن العربي، احترقت قلوب شـــعراء العصـــبة الأندلســـية معايِشـــةً الحدث، وكأنهم ما يزالون في الوطن يعانون مآســـيه، فقال الشـــاعر القروي، في نكبة دمشـــق، منددا بالفرنســـيين الذين جاؤوا في ثوب أوصـــياء لحماية نصـــارى الشـــام، فارتكبوا المجازر في أهلها، ودمروها وانتهكوا الحرمات:

تعُوجْ بـــها فـــلا تَلْـــقى مَعـــاجَا وقـــد نُسِـــفَت معـــالِـــمُها فِجـــاجَا

وبـــاتَت جَنَّـــةُ الـــدُّنيـــا جحيمـــاً وكوثَرُهـــا جرى مِلحًـــا أُجـــاجَـــا

فجُـــــنحُ اللَّيـــــلِ مُبيَـــضٌّ لـــهيباً ووَجـــهُ الصُّبحِ مُســـوَدٌّ عَجـــاجَـــا

فلو رُمْتَ السّـــُـــرَى في الفَجرِ فيها قَـــبَسْـــتَ من الظَّلامِ له سِـــراجَـــا

تَـــعيـــثُ بهـــا ذئـــابٌ كـــم تـــراءَت نِعـــاجًـــا قبْـــلَ مـــا رَعَـــتِ النِّعـــاجَـــا

وأســـرَفَتِ «الوَصايةُ» في انتـــقـــامٍ طـــغى من هَـــولِه «بَردى» وماجَا

فيـــا كَرْبِيـــهِ بـــل يا شَـــرَّ كَـــرْبٍ وجَـــدْنا منه بالـــموتِ انـــفِـــراجَـــا

وفَينـــاكَ الخَراجَ فرُحْـــتَ تســـطو على الأعـــراضِ تَحسَـــبُها خَـــراجَا

وكانت نكبة فلسطين الأشد إيلاماً، أبكت العيون واستبكت القرائح، فكتب زكي قنصل:

أطلقْ رصاصَكَ... لا أخــاف الــنــارا   إني أردّ لــك الــرصاص حــجــارا

صــدري على الغضـــب الرهيب طويته   وعلى النـدى... فعليـك أن تختـارا

«عـدنـان» أنجـبـني فـكـيـف أعـقّـهُ   أو هـل أُخَـيّـبُ في ثـراه «نـزارا»؟

بحجـارتي ســأَخُطُّ قصَّـة مولـدي   كـي لا تُـزَوِّرَ عـنّيَ الأخـبـارا

أما الشاعر القروي رشيد سليم الخوري، المبغض للصليبيين مع أنه مسيحي، ويُقدِّم عروبته حتى على دينه، وهو قائل أكفر بيت في هذا الباب:

سلامٌ على كُفرٍ يوحِّدُ بينَنا   وأهلًا وسهلًا بَعدَهُ بجَهنَّمِ

فقد انتفض غضباً في قصيدة أشبه ما تكون بمعلقة عمر بن كلثوم في مضمونها، منددًا بوعد بلفور وبخداع الغرب الصليبي للعرب، نختار منها:

الحـــقُّ منك ومـــن وعـــودِك أكبرُ   فاحســـب حســـاب الحق يا متجبّرُ

تعد الوعود وتقـــتضي إنجـــازها   مهج العباد، خسـئت يا مسـتعمرُ

لو كنـت من أهـل المكـارم لم تكن   من جيـب غيرك محســنـاً يـا بلفرُ

عِد من تشـــاء بمـــا تشـــاء فإنمـــا   دعواه خاســـرة ووعدك أخســـرُ

فلقـــد نفـــوز ونحن أضعف أمـــة   وتـؤوب مـغـلـوبـاً وأنـت الأقـدرُ

فلَـــكم وقـــى متـــواضعاً إطراقـــه   وكبـا بفضـل ردائـه الـمتـكـبرُ



يا مصــــدر الكذب الذي ما بعده   كـذبٌ، تعالى الحــق عمــا تنشــرُ

تجـــني على وطن المســـيح مـــدمراً   وتذيع أنك في البـــلاد مــعـــمّـــرُ

ويستنهض همة العرب مذكراً بجهاد صلاح الدين:

أمّــا وقــد خــلــع الــمــرائي ثــوبَــه   فليخــلعنّ الغــمــدَ منــه الــمِبــترُ

ولــيــلــبســــنّ الأرجــوان غــلالــة   تُطــوى على هام الرجال وتُنشــرُ

ولتعـــركنّ الظالـــمين ســنــــابكٌ   حــتى يحــجّــبــهــم دمٌ لا عِــثــيَرَ

يــا عُربُ، والشـاراتُ قـد خُلقـت لكم،   اليوم تــفـتــخــر العــلا أن تثــأروا

يدعوك شـــعبك يا صـــلاح الدين قم   تأبى الـــمروءة أن تنـــام ويسـهروا

نســي الصليــبــيــون ما علّــمــتــهــم   قبل الرحـــــيل، فعُد إليهم يذكروا

ويخاطب بريطانيا مذكراً بتاريخ العرب وحميّتهم، متوعداً جندها بالموت وجيشها بالهزيمة:

لا يخــدعــنَّ بــنــيــكِ أنّــا أمــةٌ   صـــبرتْ، فليس بميّت من يصـــبرُ

تــتــغــير الأجــرام في أفــلاكــهــا   وصـــــفــاتــنــا الـغـراء لا تـتـغـيرُ

فـــإذا أناخ بنـــا الـــزمانُ فإنمـــا   عَـــرَضٌ أُزيـــل ولم يمـــسَّ الجوهرُ

نـــــرعى عهودك ما رعيت عهودنا   فـإذا خفرت ذمـامنـا فســـنخفرُ

وإذا عقلــت فكــلُ رمحٍ ســـعفــةٌ   وإذا جهلـت فكـل غصـــن خنجرُ

فلَكَم تـفـجّـر من مـواضـينـا دمٌ   ولكم تدفّـق من نـدانـا الكـوثرُ

للسـلم نحن كمـا علمتِ وللوغى   مـنا الـمسيح أتى، ومنا عنـترُ

بل إن الشاعر القروي أصبح يعتز برسالة الجهاد التي بعث بها سيدنا محمد ﷺ أكثر من اعتزازه برسالة السلام التي بعث بها المسيح عليه السلام، إذ يراها لم تكن مجدية في عالم بشري جشع إلى المال شره إلى الدماء مولع بانتهاب الحقوق وممارسة الظلم على المستضعفين، فيقول:

إذا حاولتَ رفعَ الضـيمِ فاضـربْ   بِسَـيفِ مُحُمَّـدٍ واهْجُـر يَسـوعا

«أحبوا بعضَـكم بعضـاً» وَعَظْنا   بـها ذئـبـاً فمـا نجّـى قـطـيـعـا

وكان الشاعر (القروي)، مثل كل شعراء العصبة الأندلسية، أشدَّ تمسكاً بمبادئهم القومية والوطنية، ففي حين كان توجه أصحاب الرابطة القلمية إنسانياً مطلقاً بلا حدود، من حيث الانتماء ومن حيث الدين، كان هؤلاء يقدمون القومية العربية حتى على الدين، كما رأينا عند القروي، ففي الوقت الذي كان لجبران – مثلاً – عدد من العلاقات النسائية مع أمريكيات وأوربيات، توددت فتاة إلى الشاعر القروي رشيد سليم الخوري، اسمها «مود»، أو أنه رخم اسمها هكذا، لكنه اعتذر إليها مع إعجابه بها وميل قلبه إليها، فقال:

ولـو لـم تـكـوني فِرَنـجـيةً   لكنتِ سـعـاديَ قبـل سـعادْ

ولـكـنـني عـربـي الـمـنى   عـربي الهوى عـربي الفـؤادْ

لعـمرُك يـا «مَوْدُ» لولا ذووك   لما فـرق الحـبُّ بـين العـبادْ

ولا أجـبروا شـاعراً أن يقـو   لَ هـذي البـلاد وتلك البلادْ

فـإنـي حـرامٌ عـلـيَّ هـواك   وفي وطـني صيحـة للجـهادْ



«لقد بقي شعر المهجر الجنوبي على امتداد فترة أطول من تلك التي أمضاها غيره، ضمن التيار الرئيس للشعر والثقافة العربية، كما بقي شعراء الجنوب: العصبة الأندلسية أقل فعالية وجرأة تجاه التجديد، على رغم أنهم، قياساً إلى الشعر المعاصر لهم، الذي كان يُكتب في البلدان العربية، كانوا كثيراً ما يبدون نظرة أوسع ومنظوراً أعمق ورؤية أوضح إلى الإنسان والحياة. وفي مجال الشكل بقي النظام القديم ذو الشطرين والقافية الموحدة هو النظامَ السائد في الجنوب إجمالاً، أما في الموضوع فقد كان شعراء الجنوب يطرقون عادة مواضيع تشبه مواضيع الشعراء المعاصرين لهم في الوطن العربي، فكان قسم منه مكرَّساً للمواضيع الوطنية، أو الأمثلة والحكم شديدة التركيز، التي ميزت الشعر العربي القديم، ويحتفظ بنبرة بلاغية مباشرة مفعمة بتأكيد الذات تُميز ذلك الشعر.[37]

أهم ما يميز شعر العصبة الأندلسية:

«يتميز شعراء المهجر الجنوبيون بجملة من مزايا الفن والذوق والبصيرة تحيط بآفاق من الشعر الجيد الأصيل، لا تقل عن تلك الآفاق التي سبح فيها أسلافهم الأندلسيون الأولون؛ يكاد أسلوب النظم أن يكون أسلوب شاعر واحد في فترة واحدة من الزمن، ولكنك تترجمهم إلى لغة أخرى، أو تقرؤهم بلسان المعنى دون لسان اللفظ، فلا تخطئ بينهم تلك الفوارق التي تفصل بين عشرات من الشعراء بملامح الفكر والسليقة. وهم جميعاً يتلاقون في تمثال واحد شامخ الهامة مكين القدمين، نسمّيه تمثال «العصبية اللغوية» أو القومية، التي تلخصت في كلمة واحدة هي كلمة «العربية»، ونهضت برسالة في تاريخ الأدب العربي لا تشبهها رسالة أخرى في جميع أدوار هذا التاريخ. ونحسب أن مدرسة العصبة الأندلسية تنفرد بهذه الخاصية، التي تُعَدُّ من النقائض للوهلة الأولى، ثم يزول عنها كل وصف من أوصاف التناقض متى رجعنا إلى القوة الخارقة التي اجتمعت في حنين المهجريين الجنوبيين إلى اللغة، فصنعت ما تصنعه القوة الخارقة من المعجزات، تلك الخاصية التي انفردت بها العصبة الأندلسية هي فرط المحافظة وفرط التجديد في وقت واحد».[38] لذا نجد شعرهم يتسم بالرصانة أكثر من شعر أصحاب الرابطة القلمية، فكما تعمد أولئك أن يكسروا بعض قواعد العروض وأنماط التعبير كان هؤلاء بعكسهم تماماً، إذ تمسكوا أشد التمسك بتلك القواعد والقيم الأدبية، فحين أثّر دعاة التجديد ونبذ الموروث في الشاعر فوزي المعلوف، فدعا إلى قطع الصلة بتاريخنا القديم، فقال :

خَلِّ البَدَاوَةَ نوقَهَا وخيامَهَا ‏ ‏ ‏ ‏ وَالجاهلِيَّةَ رمحَهَا وَحسَامَهَا

37 الاتجاهات والحركات في الشعر العربي، سلمى الخضراء الجيوسي، ص102-103.

38 دراسات في المذاهب الأدبية والاجتماعية، عباس محمود العقاد، ص77.

مَضَـــتِ العصـــورُ الخَالِيَاتُ فَمَا لَنَا   نَحْـيَا بِــهَا مُـتَلَمِّـسِينَ ظَـلَامَــهَا

أَيَكُونُ عَصْـرُ النورِ طَــوْعَ بــنانِنَا   وَنَلُمُّ من تِلْكَ العُصُـــورِ حُطَامَهَا

مَاذَا تُــفيــدُ الشعرَ وقفــةُ شــاعرٍ   يَـــبْكِي الطُّـــلُولَ قُعُودَهَا وَقِيَامَهَا

يَرْثِي، وَلَا طَـــلَلٌ هُـــنَاكَ وَإِنَّمَــا   هِيَ عَادَةٌ ضَـمِنَ الخُـــمُولُ دَوَامَهَا

رَثَّـتْ قَصَــــائِدُهُ فَمَطْلِعُهَـا «قِفَـا   نَبْكِ» الــــدِّيَارَ وَقَدْ يَكُونُ خِتَامَهَا

شَــــرْطُ البَــلَاغَةِ وَضْعُ كُلِّ مَقَالَةٍ   بِمَقَامِــــهَا إِمَّـــا طلبتَ زِمَامَــــهَا

أَتَكُونُ فِي الفِــــرْدَوْسِ بَيْنَ أَزَاهِـــرٍ   نَفَحَ الغَدِيــــرُ أَقَاحَهَا وَخُــــزَامَهَا

وَتَجِــــدُّ فِي الصــحراءِ تَطْلُبُ زَهْرَةً   مِنْ تُرْبَةٍ لَفَـــحَ الهَجِـــيرُ رِغَـــامَهَا

فَــاتْرُكْ تَقَــالِيــدَ القَـدِيمِ مُهَـدِّماً   أَقْــــدَاسَـهَا وَمُحَطِّمــــاً أَصْنَامَهَا

بَلِـــيَ القَدِيمُ بِلـــى عِظَـــامِ عِظَامِهِ   فَإِلَامَ تَـــنْبُـــشُ فِي القُبُورِ عِظَـــامَهَا

فعارضه الشاعر إلياس فرحات بقصيدة يقول فيها:

حيِّ البـــداوةَ نوقَـــها وخـــيامَـــهـــا   والجـــاهـــليّة رمـــحها وحســـامَها

حيّتك أشـــباح القديم وســـلّمت فمن   الـعـدالـة أن تـردّ ســــلامـهـا

قـد تبلغ النفسُ الطَّموحُ أشـــدَّهـا   ويظـــلّ يُذْكِـرهـــا الولاءُ فطــامَـــها

ليس افتتانك بالفتاة نقيصة ... ما دمت تعرف للعجوز مقامَها

لولا الجذور المطمئنّة في الثرى ... ما كانت الأغصان ترفع هامَها

هذي بلادك مسرح لحوادث ... جعلت نبوءاتُ الكتابِ ختامَها

تأبى عليك مروءةٌ عربيةٌ ... ألّا تشارك في الشعور كرامَها

أهل الحسام رعوا هناك ذمامهم ... ولك اليراعة فارع أنت ذمامَها

كل يقوم بما عليه فإن تجد ... نفساً مقصرة تجد لوّامَها

لو كان للأمم الأبية دولة ... وضعت على صدر الشآم وسامَها

أرض توحدها العروبة كي يصل ... لبنانُها حورانها وشآمَها

«فالمهجريون الجنوبيون لم يقبلوا قط دعوة من دعوات الهدم، باسم التجديد في قواعد اللغة أو قواعد العروض أو قواعد الآداب السلفية في جملتها، وقد أعرضوا عن كل دعوة من هذا القبيل وساعدهم في الإعراض عنها أنها جاءت من مبدئها ضعيفة هزيلة لا تقنع أحداً بالإصغاء إليها، فكان الداعون إلى إهمال قواعد العروض أو قواعد النحو أصحاب مذهب ليس أسهل منه على الجاهل والعاجز... وبهذه المحافظة في وجه كل دعوة من دعوات الهدم أثبت المهجريون الجنوبيون أنهم أقدر من المجددين المزعومين على استخدام أوزان الموشحة وأوزان الرباعية والمقطوعة في ضروب النظم الغنائي وضروب النظم الملحمية على اختلاف الموضوعات»[39]. ففي الجانب التأملي نجد، مقابل الحيرة التي لمسناها في شعر الرابطة القلمية التيوصوفي، عند شعراء العصبة الأندلسية نظرة صوفية يقينية تلامس التصوف الإسلامي بالتفكر في مخلوقات الله لتصل إله عز وجل، ومن ذلك قصيدة إلياس فرحات:

39 دراسات في المذاهب الأدبية والاجتماعية، عباس محمود العقاد، ص78.

سـأَلت: من سـخّر الريـاحـا　　لـتـدفـع الـغـيـم في الـفضـاء

ومن هـدى خلقـه صـبـاحـاً　　ومـن أزال الهـدى مسـاء

مـن أنبت الـورد والأقـاحـا　　من أوجـد الصيف والشـتاء

من سـيَّر النجـم في الأعـالي　　من أوقف الـمـاء في السحاب

مـن رصـع الجـوَّ بـالـلآلي　　مـن خـبّـأ الـتـبر في الـتراب

من زركش الروض من كسـاه　　غـلالـة تـفـتن الـنـظـر

مـن بـث في زهـره شـذاه　　مـن سـلّـح الـورد بـالإبـر

مـن أنـعـش الجـذر في ثـراه　　مـن كـلَّل الـغصـن بـالـزهـر

من أوجد الـمسـك في الغزال　　مـن أوجـد السـم في الحُـبـاب

مـن حـبَّب السـعي للنـمـال　　فاستسهلت عنـده الصعاب[40]

«وقد اندفع نعمة قازان إلى الدعوة إلى أن يكون الله هو غايةَ الشعر وهدَفه، وقد ألف قصيدة طويلة تبلغ مئتين وأربعين بيتاً، وسماها «معلقة الأرز» يقول: ولكنني شاعر مؤمن... دعوت إلى الله في دعوتي... ويشتد سخطه على الأدب العربي، لأنه بحث فيه عن الله فلم يجد شعراً يهديه إليه، فعاد من هجير الرحلة ظامئاً، يقول:

سعيت إلى الله في شعركم　　فكنت كساعٍ إلى بؤرة

40 أحلام الراعي، إلياس فرحات، ص114.



وفَتَّشت عنه بآثاركم كأني أفتش عن علة

فكنت وبي عطش قاتل كمن يأكل النار بالشوكة

وأعتقد أن «قازان» لم يجهد نفسه في البحث عن الحب الإلهي في الشعر الصوفي، ولو فعل لعاد بزادٍ وفير، لكنه اكتفى بما سمعه أو قرأه عن المشهورين من شعراء العرب، فعاد ساخطاً، وقاده هذا السخط إلى الاعتقاد بأنه قد فتح مغاليق الشعر وسار حتى وصل إلى غاية الغايات، وإلى أبعد ما أتيح لنفس أن تصل إليه.[41]

«وقد ذهب المهجريون المحافظون أشواطاً وراء أشواط المجددين المزعومين، فليس من هؤلاء المحافظين من لم يكن له مذهب مستقل في العقيدة الإلهية أو السماحة الدينية، وليس منهم من أحجم عن رأي حديث من آراء العلم الاجتماعي جموداً على القديم وإشفاقاً من تكاليف الحرية الفكرية، بل كان منهم أناس تطرفوا في اتباع هذه الآراء عند ظهورها، وذهبوا معها إلى غاية مداها، ولم يعدلوا عنها متقيدين بقيود المحافظة العمياء؛ بل عدلوا عنها لأنهم عرفوها وحققوها خيراً من معرفة الجامدين عليها والمتعصبين لها، جرياً على سنن التقليد والمحاكاة.

وإذا وقف الفريقان معاً موقف المناجزة بالحرية والقدرة، فلن يستطيع المجددون المزعومون أن يتهموا أشد المحافظين حفاظاً على عقيدته بالتخلف في ميدان الحرية والإقدام على سلطة مرهوبة في وطنه الأصيل أو وطنه الحديث، ولكن المحافظ «المزعوم» يستطيع بغير مشقة أن ينكر عليه حرية السماحة الفكرية كما يستطيع أن ينكر عليه قدرته على تصحيح الأسلوب، ويسجل عليه خلو الجديد الذي يدعو إليه من كل قدرة يحاولها من يريد»[42].

فعلى رغم اختلاف الدين، نجد الشاعر القروي وإلياس فرحات، وهما مسيحيان، يمدحان النبي محمداً ﷺ، كلٌّ بقصيدة، وذلك من منظور قومي تتمثل به العروبة التي تربط بين الأطراف، ولم يكن شيء من ذلك لمهجريي الشمال، يقول الشاعر القروي:

عِيدُ البَرِيَّةِ عِيدُ المَوْلِدِ النَّبَوِيّ فِي المَشْرِقَيْنِ لَهُ وَالمَغْرِبَيْنِ دَوِي

عِيدُ النَّبِيّ ابنِ عَبْدِ اللهِ مَنْ طلعَتْ شَمْسُ الهِدَايَةِ مِنْ قُرْآنِهِ العلوَي

بَدَا مِنَ القَفْرِ نُوراً لِلْوَرَى وَهُدَىً يَا لَلْتَمَدُّنِ عَمَّ الكَوْنَ مِنْ بَدَوِي

41 أدب المهجر: دراسة تأصيلية تحليلية لأبعاد التجربة التأملية في الأدب المهجري، صابر عبد الدايم، ص246.

42 دراسات في المذاهب الأدبية والاجتماعية، عباس محمود العقاد، ص79.

يَا صَاحِبَ السَّيْفِ لَـــمْ تُفْلَلْ مَضَارِبُهُ   اليَــوْمَ يَقْــطُرُ ذلّاً سَـيْفُكَ الــدَّمَــوِي

يَا فَــاتِحَ الأَرْضِ مِــيْــدَانَــاً لِــدَوْلَتِــهِ   صَـــــارَتْ بِلادُكَ مِيْـدَانَـاً لِكُـلِّ قَوِي

يَـا حَـبَّـذَا عَـهْـدُ بَـغْـدَادٍ وَأَنْـدَلُـسٍ   عَهْدٌ بِـــرُوحِي أُفَـــدِّي عَـــوْدَهُ وَذَوِي

مَنْ كَانَ فِي رِيْـــبَةٍ مِنْ ضَخْــمِ دَوْلَــتِــهِ   فَلْيَتْــــــلُ مَا فِي تَوَارِيخِ الشُّــعُوبِ رُوِي

يَا قَـــــوْمُ هَـــــذا مَسِـيحِيٌّ يُـــذَكِّرُكُمْ   لا يُنْهِضُ الشّـَــــرْقَ إلاّ حُبُّنَا الأخَوِي

فَـإِنْ ذَكَـرْتُمْ رَسُـــــولَ اللهِ تـكـرِمَـةً   فَبَلِّــغُــوهُ سَــلامَ الشّـَـاعِــرِ القَــرَوِي

أما قصيدة إلياس فرحات فكانت، لولا البيت الأخير، أقرب إلى النفحة الإيمانية من الاتجاه القومي، يقول:

غَـمَـرَ الأَرْضَ بِـأَنْـوَارِ الـنُّـبُـوَّةْ   كَوْكَبٌ لَــــمْ تُدْرِكِ الشَّـمْسُ عُلُوَّهْ

لَمْ يَكَـدْ يَلْمَعُ حَتَّى أَصْـــبَحَـتْ   تَرْقُبُ الــدُّنْـيَــا وَمَنْ فِيهَــا دُنُــوَّهْ

بَـيْـنَـمَـا الـكَوْنُ ظَـلاَمٌ دَامِـسٌ   فُتِــحَـــتْ لِلنُّــورِ فِي مَكَّـــةَ كُــوَّةْ

وطَمَى الإِسْـــــلاَمُ بَحْــرَاً زَاخِـــرَاً   بِأَوَاذِيِّ الـْـمَــعَــالِــي وَالــفُــتُــوَّهْ

مَنْ رَأَى الأَعْـــرَابَ فِي وَثْــبَــتِــهِمْ   عَــرَفَ البَحْـــرَ وَلَمْ يَجْــهَـــلْ طُمُوَّهْ

إنَّ فِي الإِسْـــــلاَمِ لِـلْـعُـرْبِ عُـلاً   إنَّ فِي الإِسْــــلاَمِ لِلنَّــــاسِ أُخُـــوَّهْ

فَــادْرُسِ الإِسْــــلاَمَ يَــا جَــاهِلَــهُ   تَــلْـقَ بَـطْـشَ اللهِ فِـيـهِ وَحُـنُـوَّهْ

يَـا رَسُـــولَ اللهِ إِنَّـا أُمَّـةٌ   زَجَّهَـا التَّضْـلِيـلُ فِي أَعْمَقِ هُوَّةْ

ذَلِـكَ الجَـهْـلُ الـذِي حَـارَبْـتَـهُ   لَـمْ يَـزَلْ يُظْـهِـرُ لِلشّـرْقِ عُـتُوَّةْ

قُـلْ لأَتْبَـاعِـكَ صَـلُّوا وَادْرُسُـوا   إِنَّـمَـا الـدِّينُ هُـدَىً وِالْعِلْمُ قُوَّةْ

ويبتهج زكي قنصل بعيد الفطر المبارك، فيقول:

عُـــرْسَ الضِّـياءِ وغُـــرَّةَ الأعـــيادِ   إنَّ الـقُـلـوبَ إلى نَـداكَ صَـــوادِ

هشَّـت لِـــمَقْدَمِك السَّعيدِ حَواضِرٌ   وتـــهَلَّلَتْ لَـــمَّـــا هَلَلْتَ بَـــوادِ

إنِّي لـتَرِبـطُـني بـرَكْـبِـك نَـزْعـةٌ   عَـرَبِيَّـةٌ مـلَـكَـتْ عَـلَـيَّ قِـيـادي

رَمَضانُ هَـبْني من أريجِـك نَفْحـةً   نَـدْيـاءَ تُحْـيـي بـالـرَّجـاءِ فُـؤادي

كَحِّـلْ بأنـوارِ السَّمـاءِ بَصيرتي   واغْمِسْ بـأطيـابِ الفَضـيلةِ زادي

ج

لأكـادُ أسمَعُ في أذانِـك أشـرَقَـت   نَـغَـمـاتُه تَـرتـيـلـةَ الـمـيـلادِ

يا مَـن يَعـيبُ عليَّ أنِّـي شـاعِـرٌ   مُـتـعَـصِّبٌ لعَـشـيرتي وبِـلادي

مـا حـيلَتي في خـافِـقٍ بأضالِعي   لا يَـرْعَـوي لنَصيحـةٍ ورَشـادِ

وبهذه الخاصية «المنفردة» في تاريخ الآداب العربية يتميز الأدب المهجري في الجنوب، وينفرد المحافظون من شعرائهم بهذه «الشخصية» الشاملة التي انطوت فيها جميع «الشخصيات» بين أطواء العبقرية العربية، التي برزت من ورائها ألوان من ملامح الروح والسليقة يعتز بها طلاب الثروة الأدبية في كل عهد من العهود.[43]

الخلاصة والاستنتاجات

مما سبق نخلص إلى أن الشعراء المهجريين، حين غادروا بلادهم، حملوا معهم روح الشرق وقيمه، ليقابلوا بهما مادية الغرب ونزعاته، نطق بذلك شعرهم، وصرح به أدبهم، فكانوا حَمَلة لواء الإنسانية في مجتمع متكالب على الثروات والموارد، شــره إلى الدم، يعيث في أوطانهم فســاداً، وينتهب ثرواتها ويقتلُ أبناء جلدتهم أو يعبّدُهم، على رغم رفع ســياســيي الغرب شــعارات الحرية والحق والخير والتنوير، وارتفاع أصــوات أدبائه مناديةً بمبادئ الإنســانية والعدالة والبناء، فمن المهجريين من تأثر، في ذلك الفضاء، بالجانب الإنساني الذي كان له دعاته بين أدباء الغرب، ومنهم من تأثر بالجانب الفكري المشكك في كثير من الثوابت، ما أصاب بعضهم بانتكاس فكري وتشتت ذهني في هذا العالم المتناقض، فصار بعضهم يبحث عن ذاته، فينطوي على نفسه ليغوص في أعماقها ويخرج بنظرات إبداعية، وبعضــهم يبحث عن الله فيجده في أفعاله من خلق وإبداع، وبعضــهم يرجع حيران، وبعضــهم يتوهمه في وجود الموجودات،، ولكن ما لا شــك فيه أنهم أثّروا في الأدبين العربي والغربي، فكما حمل شــعرهم حنينهم إلى أوطانهم، كذلك حمل طموحاتهم وآمالهم، وجسد أحلامهم بقيام عالم يسود فيه السلام والوئام، عالم فاضل لا أطماع فيه ولا نزاع، وإنما إنســانية تصــنع المدينة الفاضــلة في دواخل أفرادها وليس على الأرض، يدفعهم إلى ذلك ما يبلغهم من أخبار جرائم الغرب في الشرق في أوطانهم، فانبروا يدافعون عن حقوق شعوبهم في الحرية والحياة، فكانت ردود أفعالهم متفاوتة، فمنهم من رفعوا أصــواتهم مطالبين الغرب بلجم أطماعه وإيقاف أنهار الدم، ويحاجّونه في المقارنة بين مزاعمه في الإعمار وإيصــال الحضــارة وتحرير الناس وبين أفعاله بالتدمير والقتل واســتعباد الناس، ومنهم من جردوا أقلامهم يحرضــون شــعوبهم على المقاومة ورفض الذل وبذل الدماء لأجل تحرير بلادهم، ومنهم من راح يدعوهم إلى نبذ الطائفية وتوحيد صــفوفهم ويذكرهم بمغبتها وعواقب التمســك بها، ومنهم من جعل قلمه وردةً وغصــن زيتون فمضــى يدعو إلى المحبة والســلام العالميين، ولم يُغفلوا واقع البشــرية، الذي ينذر بهلاك الناس على أيدي بعضهم البعض، وحاجَتَهُ إلى دعاة عقلاء ينزعون السلاح ويداوون الجراح، فدعوا إلى القيم الفطرية بنقائها، والطموحات النبيلة بسموها، وذكّروا الناس بالعطاء الذي تتميز به عناصــر الطبيعة بتدفق أنهارها وإثمار أشــجارها وعذوبة أصــوات أطيارها وجمال وعطر أزهارها، ليتحلى الإنســان بمثل هذه الروح، التي بها يحفظ الناس بعضــهم

43 دراسات في المذاهب الأدبية والاجتماعية، عباس محمود العقاد، ص79.

ويصـونون أنفسـهم، وكان الرابط بينهم، على اختلاف تلك الاتجاهات، هو ثنائية «اللغة والوطن»، فكانوا أشـد حرصاً عليهما من كل ما سـواهما، فتغنوا باللغة وشـدوا بها للوطن وللإنسـانية وقيمها؛ الحقِّ والخيرِ والجمال، فتركوا بصـمة واضـحة في الأدب العربي، وأثراً بيّناً في نفوس شـعوبهم، على رغم بعد المسـافات، وماتوا وبقي شـعرهم يصدح بكل ما نادوا به من قيم وطمحوا إليه من آمال وحلموا به من أمانيَّ لشعوبهم وأوطانهم وللإنسانية جمعاء.

التوصيات والمقترحات

لقد حظي الأدب المهجري بعناية كبيرة من الدارسين في القرن الماضي، لكن دراساتهم لم تتجاوز موضوع الشوق والحنين والحزن على ما تعاني بلادهم. ولم تفرَد دراسـة للاتجاهات الفكرية لهم والتغيرات التي طرأت عليها في غربتهم، والتي أشار إليها هذا البحث في عجالة لم تتسع لتفاصيلها، فهذا مقترح نضعه بين أيدي الدارسين.

قائمة المراجع

أبو ماضي، إيليا، الأعمال الكاملة، جمع الدكتور عبد الكريم الأشتر، مؤسسة البابطين، الكويت، ٢٠٠٨م.

الجيوسي، سلمى الخضـراء، الاتجاهات والحركات في الشـعر العربي الحديث، ط2، ترجمة عبد الواحد لؤلؤة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 2007م.

الحاوي، إيليّا، الشاعر القروي – البواكير، الجزء الأول، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٧٨م.

الحمداني، سـالم، وفائق مصـطفى أحمد، الأدب العربي الحديث: دراسـة في شـعره ونثره، مطبعة جامعة الموصـل، العراق، 1987م.

الخوري، رشيد سليم، الأعاصير، مطبعة مجلة الشرق، من دون تاريخ.

الدقاق، عمر، ملامح الشعر المهجري، مطبوعات جامعة حلب، سورية، ١٩٩٠م.

الشـاملي، نصـر الله، وصبحت حسـوند، المصـادر الفلسـفية لأدب المهجر الشـمالي، مجلة التراث الأدبي، السـنة الأولى، العدد الرابع.

العقاد، عباس محمود، دراسات في المذاهب الأدبية والاجتماعية، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، 2014م.

العطوي، مسعد بن عيد، الشعر العربي الحديث، مقرر جامعي، إصدار شبكة الألوكة، 1433هـ.

الفاخوري، حنا، الجامع في تاريخ الأدب العربي: الأدب الحديث، ط1، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1986م.

الناعوري، عيسى، أدب المهجر، ط3، مكتبة الدراسات الأدبية 14، دار المعارف، القاهرة، مصر، بدون تاريخ.

بني المرجة، موفق، صـحوة الرجل المريض، مؤسـسـة صـقر الخليج للطباعة والنشـر والتوزيع والإعلان، مطابع دار الكويت للصحافة «الأنباء» الكويت، أيار (مايو) 1984م.

بيضـون، حيدر توفيق، سـلسـلة أعلام الأدباء والشـعراء، الجزء 56، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1413هـ - 1993م.

جبران، خليل جبران، البدائع والطرائف: قصيدة البلاد المحجوبة، المكتبة الثقافيّة، بيروت، لبنان، من دون تاريخ.

حداد، عبد المسيح، حكايات المهجر، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، 2021م.

معلوف، شفيق، ديوان نداء المجاديف، بلا دار نشر، ١٩٥٨م.

صيدح، جورج، أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكيّة، دار العلم للملايين، ط ٣، بيروت، لبنان، ١٩٦٣م.

ضيف، شوقي، فصول في الشعر ونقده، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط٤، من دون تاريخ.

عبد الدايم، صابر، دراسة تأصيلية تحليلية لأبعاد التجربة التأملية في الأدب المهجري، ط1، دار المعارف، 1993م.

عريضة، نسيب، ديوان الأرواح الحائرة، دار بيسان للنشر، بيروت، لبنان، من دون تاريخ.

فرحات، إلياس، أحلام الراعي، ط2، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1962م.

مريدن، عزيزة، حركات الشعر العربي في العصر الحديث، مطبوعات جامعة دمشق، سورية، ١٩٨٨م.

الموسوعات:

المعرفة، موسوعة إلكترونية: https://www.marefa.org/%D8%A7%D9%84%D8%B1%D8%A7%D8%A8%D8%B7%D8%A9_%D8%A7%D9%84%D9%82%D9%84%D9%85%D9%8A%D8%A9

ويكيبيديا، الموسوعة الحرة.